

شيخ البطحاء أبو طالب عليه السلام

الحاج حسين الشاكري

شيخ البطحاء أبو طالب مؤمن قريش

قريش الموحدة وقريش المشركة

سيرة المصطفى (ص)

أبو طالب مؤمن قريش

عطف النبي (ص)

استسقاء أبو طالب بالنبي (ص)

يوم الدار ودعوة النبي (ص) لقومه

أبو طالب يهدد قريشا

إقرار أبي طالب بالتوحيد - سبب كتمان إسلام أبي طالب

صحيفة المقاطعة ، وشعب أبي طالب

وصية أبي طالب بنصرة النبي (ص) على فراش الموت

النبي (ص) يشفع لأبي طالب

شذرات من كتاب الغدير

من كتاب الدرجات الرفيعة

من كتاب إيمان أبي طالب

من كتاب الذريعة

أشعار مؤمن قريش

القصيدة الشعبية

ختام

مقدمة

شيخ البطحاء أبو طالب مؤمن قريش

كان عبد مناف بن عبد المطلب الدرع الواقى للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ابتداء من حياة أبيه عبد المطلب ، ولقد شمر عن ساعد الجد في الدفاع عن ابن أخيه منذ طفولته وحادثة سنه وبلوغه وحتى

قبل بزوغ شمس الرسالة وبعدها إلى يوم وفاته (عليه السلام) حيث كان كالسد المنيع يحول بينه وبين المشركين ، تلك القوة الوثنية الهائلة التي كانت تحكم الجزيرة العربية بالحديد والنار ، وتمسك بمقدراتها ، وبين تحقيق أهدافها الضالة في وأد رسالة

السماء ومن يؤمن بها في مهدها . ولأبي طالب مواقف مشهورة ومشهودة في تصديه للدفاع عن الرسالة فوق التصور ، وقفها مدافعا بكل ما يملك من قوة دون ابن أخيه ورسالته إلى آخر نفس . ولم يزل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ممنوعا من كل اعتداء ، حتى توفي أبو طالب (عليه السلام) ، فقد هاج المشركون في مكة ، وأجمع طواغيت قريش على الفتك به ، وعند ذلك جاء نداء ربه أن " اخرج من مكة فقد مات ناصرك " (١) ، على رغم كل التضحيات والدفاع عن

بيضة الإسلام والمواقف المشهودة التي وقفها أبو طالب دون تبليغ الرسالة ، نجد تخرصات تصدر من أنفاس مبجوحة تقول إن أبا طالب مات كافرا ، فمتى كفر هو ؟ ومتى أشرك ؟ حتى يؤمن ويهتدي ، أليس هو من الموحيين وأقواله وأفعاله

* (هامش) *

(١) إيمان أبي طالب ، للمفيد : ٧٤ ، والدرجات الرفيعة : ٦٢ . (*)

ص : 5

وأشعاره تدل على إيمانه وإسلامه ؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

هذا المؤمن المدافع عن بيضة الإسلام ورسوله يقول رواة السوء ، وعبدة الأهواء والتعصب ، والكذابين والوضاعين أنه مات كافرا ؟ هذا وصخر بن حرب ما انفك من محاربة التوحيد ورسول الإسلام بكل ما أوتي من قوة يموت مسلما مؤمنا وهو من الطلقاء ؟ وأضحك ما أراك الدهر عجبا .

ولما مات عبد المطلب - شيبه الحمد - أوصى ولده أبو طالب بمحمد النبي دون أولاده العشرة ، لعلمه بإيمانه وتوحيده ، ولأنه شقيق والده عبد الله من أمه وأبيه ، بقوله :

أوصيك يا عبد مناف بعدي * بواحد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهدي * فكنت كالأم له في الوجد

ص : 6

فكفل أبو طالب النبي (صلى الله عليه وآله) وأحسن الكفالة وأحاطه بكل ما يملك من عناية ، ودافع عنه وعن رسالته بكل ما أوتي من قوة ، حتى أظهر الله دينه ، وثبت أركانه ، وكان وهو في النزاع الأخير وعلى فراش الموت يدافع عنه ويوصي

أولاده وبني عبد المطلب به خيرا ، حتى خمدت أنفاسه . فسلام عليه يوم ولد ، ويوم جاهد ، ويوم مات مؤمنا موحدا ، ويوم يبعث حيا . حسين الشاكري الفاتح من ربيع الثاني ١٤٢١هـ

قريش الموحدة وقريش المشركة

كان شيبه الحمد عبد المطلب وأبيه عمرو العلي هاشم وأبيه عبد مناف وآبائهم من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة إلى أن وصلوا إلى قصي وإسماعيل كانوا كلهم موحدون أحناف على دين أبيهم إبراهيم الخليل ،

وكذلك أبناء عبد المطلب ولا سيما عبد مناف أبو طالب وحمزة والعباس إلا ما شذ منهم مثل عبد العزى (أبو لهب) فإنه تأثر ببني أمية وصار على شركهم عندما تزوج أم جميل بنت أبي سفيان ، كما في بيوتات سادة قريش مثل بني زهرة ، وبني أسد وغيرهم موحدون أحناف ، وكثير منهم مشركون لأن الشرك طغى في عهد

الجاهلية وتنمر طغاتها وفرض عبادة الأوثان بالقوة على القبائل والناس على حد سواء . وفي وسط هذا الجو المظلم الذي اجتاحتته هذه العاصفة الهوجاء ، فأبدلت الدين السماوي ، وملة إبراهيم الحنيف إلى عبادة الحجارة والأخشاب التي ينحتونها ،

لنكون لهم آلهة يعبدونها من دون الله الواحد ، وهم يعلمون أنها لا تسمع ولا تعي ، ولا تنفع ولا تضر . في هذا الجو الحالك والغارق في ظلمات الجهل ، من تلك الأكداس البشرية ، المغمضة العين ، المغفلة القلب ، قد ارتفع منها بيت عريق بالإيمان

والتوحيد المتمسك بالدين الحنيف الذي ما امتد إليه ظلام الشرك ولم تدنسه أضرار الجاهلية ، وبقي فيه شعاع النور الذي أشعله الخليل إبراهيم (عليه السلام) لم تعصف به العواصف ، ولم يجتاحه إعصار ، إلا ما تناول من بعض أطرافه ، فهو عميق الإيمان ، لم يفارق الحنيفية البيضاء .

فتح أبو طالب عينيه ، ودرج في الحياة ، فرأى في هذا البيت حياة غير الحياة التي يراها بين الناس ، ورأى في عميد البيت - أبيه عبد المطلب - رجلا ليس كالرجال . ذلك الزعيم المطاع ، يقول فينفذ القول ، ويحكم فلا يرد له حكم ، وهو الجواد

المعطاء ، والسخي الفذ ، يطعم فينال من طعامه حتى راكب البعير وهو على بعيره ، ومطعم طير السماء ، وإنه مجاب الدعوة ، يدعو الله فتلبى دعوته ، فهو مرضي عنه في السماء ، ومحمود في الأرض ، وإنه يرى في أبيه صفات لم تكن في

غيره ، وهو الذي سن سننا ليست سوى الدليل على رفعة النفس ، ونقاء السريرة ، وعمق الإيمان ، بحيث تنهض بالبرهان على بقاء الحنيفية ، التي جاء بها أبوه إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، فإنه حرم الخمر على نفسه ، وحرم نكاح المحارم ، وحدد الطواف بالبيت سبعا ، ونهى أن يطوف بالبيت عريان ، ويقطع يد السارق ، ويحرم الزنا وينهى عن الفحشاء وعن

ص : 10

المؤودة ، وأن يستقسم بالأزلام ، وحرم أكل ما ذبح على النصب ، وسن الوفاء بالنذر (١) .
ويجئ الإسلام فيقرر كل هذه السنن ، التي سنها شبيبة الحمد عبد المطلب ، فنشأ أبو طالب على ما سار عليه أبوه ، في البيت الذي ترعرع فيه - مسلما حنيفا وما كان من المشركين - .
ويرى أبو طالب أباه ، يوم جاء أبرهة للكعبة ، فصودرت لعبد المطلب أنعام ، فراح يطلبها منه ، وكاد يصغر في عينه حيث لم يتعرض لأقدس المقدرات لديه (الكعبة) وقد جاء ليهدمها ، فما كان من عبد المطلب إلا أن أجابه بجواب المؤمن العارف بالله ، الثابت الإيمان : " أنا رب الإبل ، وللبيت رب يحميه " . وعاد إلى البيت فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وناجى ربه ،

* (هامش) *

(١) السيرة الحلبية ١ : ٥ ، والنبوية ١ : ٢١ ، والبحار ٦ : ٣٨ ، وبنابيع المودة : ١١٢ . (*)

ص : 11

مناجاة المؤمن الموحد :

يا رب لا أرجو لهم سواك * يا رب فامنح منهم حماكا
إن عدو البيت قد عاداك * امنعهم أن يخربوا فناك (١)

ثم عقب بقوله : يا معاشر قريش ، لا يصل إلى هدم هذا البيت ، فإن له ربا يحميه ويحفظه ، وقد فعل ، فأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، كما ذكر في كتابه المجيد .

وإن أبا طالب ليسمع أباه في نجواه ، ويجيب الرب دعواه ، وقد نشأ على هذا الاعتقاد ، وعبد المطلب يلقي على أولاده خاصة دروسه القيمة ، ويأمرهم بعبادة الأحد وبالأمور الإلهية ويحثهم على مكارم الأخلاق ، فهل تراه

* (هامش) *

(١) الكامل لابن الأثير ١ : ٢٦١ ، والبحار ٦ : ٢٣ ، ومروج الذهب ٢ : ١٢٨ . (*)

ص : 12

بعد ذلك يركن إلى عبادة الأوثان ؟ لاهما الله لا يكون ذلك أبدا ، اللهم إن هذا لبهتان عظيم . فأبو طالب صورة واضحة المعالم ، بارزة الخطوط ، لماض مشرق ، وضاح السنى ، لامع النور ، ففيه من صفات أبيه عبد المطلب ، وجد هاشم ، وأجداده

الأفذاذ ، ما جعلت منه تلك الصورة الواضحة الرائعة ، وقد أراد الله منه أن يكون كافلا لنبي الإسلام ، وهو الصورة الكاملة للإنسان المؤمن الموحد .

فإيمان أبو طالب كإيمان حزقييل مؤمن آل فرعون ، كتم إيمانه ، فالإيمان بالتعريف الديني ، هو الاعتقاد بالقلب ، وتصديق باللسان ، بما أنزل الله على رسوله (صلى الله عليه وآله) ، والمؤمن الحقيقي الذي نجد فيه توافر الشرطين ، مع ما يترتب

عليهما ، مما يتطلبه من القيام بالأركان . أما الاعتقاد بالقلب . . . فهذا شئ ليس من سبيل للعباد إلى معرفته ، فهو عائد للخالق العظيم ، إذ هو وحده يعلم

ص : 13

السرائر وما تخفيه الصدور ، ولكن الناس تحكم بالظواهر ، كما في الآية الشريفة : * (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) * (١) ، وبأقوال الشخص وأفعاله يتضح إيمان الشخص من كفره . ويثبت إيمان أبي طالب بعدة أدلة :

أولا : بأقواله وأشعاره .

وثانيا : بأفعاله الصحيحة ودفاعه المستميت وجهاده السافر عن الرسول ورسالته . والأهم من هذا وذاك شهادات النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين بذلك ، وهم حجج الله على البرايا ، ومن نافلة القول أن نذكر أقواله وأشعاره في هذا المقام ، منها :

* (هامش) *

(١) النساء : ٩٤ . (*)

ص : 14

ملك الناس ليس له شريك * هو الوهاب والمبدي المعيد
ومن فوق السماء له بحق * ومن تحت السماء له عبيد

فهذان البيتان شاهدا صدق على قائلهما أنه من الموحدين .

وفي أبياته : يا شاهد الله علي فاشهد * إني على دين النبي أحمد من ضل في الدين فإني مهتدي

فهو يشهد على نفسه أنه على دين ابن أخيه .

فبربك قل لي : أليست هذه الأشعار والأقوال أعظم أداء من قولك إني مسلم ؟ ومن شعره :

لقد أكرم الله النبي محمد * فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

ص : 15

وكل أشعاره وأقواله وأفعاله تدل على إيمانه بالواحد الأحد ، والدفاع عن رسالة السماء . دلائل :
إن في شعر أبي طالب
دليلا على أنه كان يعرف بنبوّة محمد (صلى الله عليه وآله) قبل أن يبعث ، لما أخبره به بحيرا
الراهب وغيره ، ولمس من

معاجزه ومناقبه ما يبهر العقول ، ولقد زاد على ذلك قوله : كان أبي - أي عبد المطلب - يقرأ
الكتب جميعا ، ولقد قال دوما : إن في صليبي لنبيا ، لوددت أنني أدركت ذلك فأمنت به ، فمن
أدركه من ولدي فليؤمن به (١) .

ومن بين تلك الدلائل ، والبراهين الوافرة ، المحسوسة والملموسة ، فلنأخذ بعضا منها على سبيل
المثال لا الحصر .

* (هامش) *

(١) شيخ الأبطح : ٢٢ ، والغدير ٧ : ٣٤٨ ، والعباس : ١٨ و ٢١ . (*)

ص : 16

أ - روي من بين الإرهاصات التي سبقت البعثة ، أنه (صلى الله عليه وآله) كان مع عمه أبي
طالب بذي المجاز (١) ، إذ عطش أبو طالب ، وليس عنده ماء يروي عطشه ، فذكر لابن أخيه
ما ألم به من العطش ، فما كان منه (صلى الله عليه وآله)

وآله (إلا أن ركل صخرة برجله فإذا بالماء يتدفق ، لم ير مثله أبو طالب ، فشرب وروي حتى
أطفأ غليله ، وعاد فركلها - مرة أخرى - لتعود سيرتها الأولى (٢) .

ب - إن رجل من - لهب - كان عائفا - عارفا - فإذا قدم مكة ، أتته رجال قريش بغلمانهم ،
لينظر لهم ، وكان أبو طالب من بين الحاضرين ، وكان معه محمد (صلى الله عليه وآله) ،
فنظر العائف للرسول (صلى الله عليه وآله) وكان لديه شغل ، وما انتهى من شغله ، حتى قال :
علي بالغلام . وما أن رأى أبو طالب ذلك ،

* (هامش) *

(١) موضع على فرسخ من عرفة - كان سوقا للجاهلية .

(٢) السيرة النبوية ١ : ٨٩ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٩ ، وتذكرة الخواص : ٩ ، وبحار الأنوار ٦ :

١٢٩ . (*)

ص : 17

حرص على العائف عليه ، فأحس منه خيفة ، فغيبه حتى لا تقع عليه تلك العينان النافذتا البصر ، البعيدتا النظر ، فصاح : ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيته أنفا ، ولم يأبه أبو طالب لصياحه ، فوالله ليكون له شأن (١) . ولم تكن هذه بالجديدة على مسمع أبي طالب ، وإنه لعليم بماهية الشأن .

ج - شاهد أبو طالب ظاهرة بارزة ، تتضح بالدليل الصارخ منذ أن انحاز الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى عائلته ، بعد وفاة عبد المطلب من البركة في الطعام ، متى ضمت المائدة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ، ومع قلة الطعام وكثرة

العيال ، تراهم يصدرون عنها وهم من الشبع على اكتتاز ، وفي الطعام فضلة ، فكان أبو طالب يقول لهم - إذا حضر وقت الطعام ولم يجد ابن أخيه - : كما أنتم حتى يحضر ابني .

* (هامش) *

(١) السيرة الهشامية ١ : ١٩٠ ، والسيرة النبوية ١ : ١٩٠ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٩ ، وأبو طالب

: ٣٢ . (*)

ص : 18

د - إلى الشام : بلغت عناية أبي طالب بابن أخيه حدا تجاوز الوصف ، فقد اتحدت الروحان حتى أصبح من الصعب فراقهما
وقد شاهد (صلى الله عليه وآله) عمه مزمعا على سفرة قد تطول مدتها لم يستطع تحملها ، ولم يبق لديه حصن يلجأ إليه ،

ويقيه الزعازع كما أن الشيخ الحدب فكر في نفسه ، فإن هو سافر بدونه فإلى من يلجأ ؟ وما أن خطى أبو طالب إلى راحته ، فيرى حبيبه قد اغرورقت عيناه بالدموع ، فيخفق قلبه الرحيم ولم يستطع أن يسمع من ابن أخيه هذه الكلمات : " يا عم ،

إلى من تكلمي ؟ لا أب لي ولا أم " ، فكان جواب أبي طالب : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ، ولا أفارقه أبدا . فأردفه على راحته ، وراح الراكب يطوي الصحراء ، حتى بلغ بصرى - من أرض الشام - . وهناك راهب يقال له (بحيرى) في صومعة له قد

ص : 19

انتهى إليه علم (النصرانية) ، ولقد أطل الراهب من صومعته فشاهد الراكب - ولفت نظره - غمامة تظل على واحد من بين هؤلاء جميعا لتقيه لهب الشمس ، لهب الصحراء ، ولفت نظره الشجرة تهصرت فتظلل على ذلك المستظل بالغمامة من بين

هؤلاء جميعا بفيئها وظلالها ، وقد أخذ منه العجب ، وعادت إليه ذاكرته إلى ما قرأه في الكتاب المقدس ، فنزل من صومعته ، وقال : إني صنعت لكم طعاما - يا معشر قريش - فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، فانبرى إليه واحد

منهم : والله ، يا بحيرى ؟ إن لك لشأنا اليوم ، ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد نمر بك كثيرا ! فما شأنك اليوم ؟ قال بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقولون ، ولكنكم اليوم ضيوف ، فأحبيت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم . فاجتمعوا

لديه ، ولم يتخلف من بينهم غير النبي (صلى الله عليه وآله) لحدائثة سنه ، فقد كان في الرحال ، تحت الشجرة ، فطافت من الراهب

ص : 20

نظرة فاحصة ، فسألهم : هل تخلف منكم أحد ؟ فأجيب : ما تخلف عنك أحد إلا غلاما وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف في رحالهم . قال : ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقام رجل من بينهم قد احتضنه وجاء به ، فعادت من بحيرى تلك النظرة

الفاحصة . . . ثم نظر في أشياء في جسده وعلامات ، ليجد فيه صفات قرأها في الكتاب المقدس ، تخص هذا الغلام العظيم . وبعد أن تفرق القوم عن الطعام ، راح بحيرى يسأل النبي عن أشياء يهدف من ورائها كشف الحقيقة وتعميق حدسه .

عاد الراهب يسأل أبي طالب سؤال اللهفان : - ما هذا الغلام منك ؟ - ابني . - ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .

ص : 21

قال أبو طالب : فإنه ابن أخي . - فما فعل أبوه ؟ قال أبو طالب : مات ، وأمه حبلى به . قال الراهب : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه من اليهود ، فوالله لإن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغينه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده (١) .

فعاد به وهو أشد ما يكون عليه حزرا . وهذه واحدة من الصور التي لا تزال مخيلة شيخ البطحاء . ثم استعرض زواجه (صلى الله عليه وآله) واقترانه بأمة المؤمنين خديجة ، ومن قبل ذلك يوم الدار والإنذار ، وجهاده ،

* (هامش) *

(١) السيرة الهشامية : ١٩١ - ١٩٤ ، والسيرة النبوية : ٩٠ - ٩٣ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٩ - ١٤٢ ،

وتأريخ الطبري ٢ : ٢٢ - ٢٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٣ - ٢٤ ، والبحار ٦ : ٥٩ - ١٢٩

(*) .

ص : 22

وشعب أبي طالب ، وغير ذلك من الأمور التي رسخت في ذاكرته ، وقد أمدت إلى شجرة أبي طالب الفارعة الذبول ، فهصرت منها الأغصان ، وقطعت عنها ينابيع الحياة ، فاصفرت منها الوريقات سريعا ، وسرت صفرة الموت في أجزائها

جميعا ، لقد آن للشيخ المجهد ، الذي بذل كل ما في وسعه من طاقته الجبارة في الدفاع عن رسالة الإسلام وعن ما جاء به ابن أخيه .

ولقد آن الأوان أن يستريح ويستلذ بحلاوة ثمرة جهوده ، وينال جزاء عمله ، وحتى حين الاحتضار لم ينس أن يوصي بابن أخيه خيرا ، وقد ذكرنا وصيته مفصلة . كل هذا الجهد والدفاع عن بيضة الإسلام وإعلان إيمانه بالرسالة وبما جاء به ابن

أخيه ، تتبعتة بني أمية لا سيما معاوية رميما ، والذين لم يسلموا وبقوا على شركهم يحاربون من دافع عن الرسالة أو ان إعلانها ،

ص : 23

لا سيما أبي طالب ، وأم المؤمنين خديجة ، كل ذلك حقدا على من دافع عن الإسلام ، أينما كان ، وخلقوا الأحاديث الكاذبة ، وبدلوا مقاصد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وإليك نتفا منها .

كان شيخ البطحاء ورجل الإسلام الأول ، قد أبقى بعده أثرا جميلا ، وفضلا باقيا ، ولكن شاعت السياسة الزمنية ، والأحقاد الجاهلية أن تزوى عنه العيون ، وتنظر إليه نظرة ظالمة ، فراحت تتال منه ، وتضع في حقه الأراجيف لتتال من جوهر الحق ، ورواء الفضيلة ، أحاديث وروايات كاذبة ما أنزل الله بها من سلطان .

مر عصر الخلافة الأولى ، وهو يحفل بمآثر أبي طالب رجل الإسلام الفذ ، ويسجل مآثره الغرة ، وأياديه البيضاء ليوفيه بعض حقه على الإسلام ، وجاء عصر السياسة الفاسدة والسلطة الجائرة من بني أمية وهي لا تستقيم إلا بالنيل من بطل الإسلام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، لأنه قتل

ص : 24

شيوخهم وجندل أبطالهم ، فكانت سيرة أبيه إحدى تلك الجوانب التي عملت السلطة فيها معاول الهدم ، وهي تظن زحزحته عن مقامه وصرف الأنظار عن اغتصابها حقه ، عند ذلك راحت تغري وعاظ السلاطين وتستأجر ذوي الضمائر الميتة

والنفوس الخسيصة بالأموال الزائفة لبيع ذممهم ، لتقلب الحق باطلا ، وتبيع دينها بالثمن الأوكس ، لترضي ضمير السافل ، وتحوز رضى السلطة الغاشمة ، وقامت الأهواء بدورها ، فغيرت الأمور عن رواسي الرسالة بوضع الأحاديث الكاذبة التي

ما أنزل الله بها من سلطان ، وانتهز معاوية تلك المطايا الذلول ، فحمل على ظهورهم تلك الأحمال الثقيلة ، فكانوا لما يريد مطيعين . كتب معاوية إلى عماله : أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته (١) . وإذا بالخطباء

* (هامش) *

(١) شرح النهج ٣ : ١٥ . (*)

ص : 25

لذلك مستجيبون ، يقوموا بلعن الإمام علي (عليه السلام) في كل كورة ، وعلى كل منبر . ويتبرأون منه ، ويقعوا فيه وفي أهل بيته ، حتى أن المنابر التي يلعن فيها عليا ، لتربوا على السبعين ألفا . والعامه من الناس للخطباء مستجيبون ، ولهم مصدقون .

ثم يعود معاوية ليكتب إلى عماله جميعا : " ألا تجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة " ، ليأخذ بخناق شيعة أهل البيت ، وينال من كرامتهم ، ويدعهم عرضة لمكاره أعدائهم وهدفا لسهامهم . ويعود معاوية ليكتب لعماله في جميع البلاد : " انظروا إلى من قامت عليه البينة : إنه يحب عليا وأهل بيته ، فامحوه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه " (١) .

ولا يكتفي بهذه المطاردة العنيفة حتى يشفع كتابه

* (هامش) *

(١) شرح النهج ٣ : ١٥ . (*)

بآخر : " من اتهموه بموالاة هؤلاء القوم ، فنكلوا به واهدموا داره " .

ولا يكتفي بإصدار هذه الأوامر الجائرة ، بل يختار من يقوم بتطبيق هذا الجور ، فيولي على العراق صنيعته ، ولحقيق نسبه ، زياد ابن أبيه - المجهول النسب - لتشتد الوطأة على شيعة علي خاصة ، وهو بهم خبير ، وبمكانتهم عليم ، حيث كان إليهم قريبا قبل أن يرتد .

وليس لمعاوية ثمة من دين ، أو خلق قويم ، أو إنسانية تقف في وجهه ، لتحد من طغيان شهوته ، بل أطلق لشهوته العنان ، وأسلس لها المقود ، فأخذت شوطها البعيد . دعا إليه سمرة بن جندب ، وسمرة أحد واضعي الحديث - الوضاعين - ، فبذل

معاوية إليه مئة ألف درهم ، ليروي أن هذه الآية نزلت في علي (عليه السلام) : * (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض

ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) * (١) .

وإن هذه الآية نزلت في ابن ملجم ، وهي : * (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) * (٢) .

وقد رأى سمرة في هذا الثمن ما لا يكفي لتفسير منحرف لآية واحدة ، فكيف بأيتين ؟ وراح معاوية يساومه ، فزاده مئة ألف أخرى فلم يقبل ، وراحا يتساومان ، حتى تمت الصفقة بأربعمائة ألف درهم ، عند ذلك روى سمرة هذين الحديثين ، أو قل

التفسيرين . وهكذا ، بمال الله ، يحارب أولياء الله ! وبمال الإسلام يجهز عليه به ، وبمال المسلمين يشوه قداسة مبدئهم الرفيع . وهذه واحدة من آلاف الأحاديث شوهدت وجه

ص : 28

الإسلام ، ناهيك عما أحدثه كعب الأخبار ومن على شاكلته لبيثوا الإسرائيليات ، وحشوها ضمن أحاديث الرسول الصحيحة ، ليضيعوا معالم الإسلام الحقيقي ، والأُنكى من ذلك حينما منع تدوين الحديث منذ صدر الخلافة الأولى إلى مئة عام ، حتى رفعها عمر بن عبد العزيز الأموي ، إبقاء على دولة بني أمية .

شاء معاوية أن يستأجر قوما من الحاقدين على شاكلته لوضع الأحاديث المنتقصة من علي (عليه السلام) ، فاختر بعض المنافقين ممن يدعي الإسلام ، ويحسب أنه من الصحابة والتابعين ، والذين تظن العامة من الناس بصلاحهم ، لتكون لهم عمادا

يرفعون من واهي البناء ، وكان ممن عقد معه تلك الصفقات - الرابحة ماديا ، والخاسرة فيما عدا ذلك - قوم عد منهم وفي طليعتهم : أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والزاني المغيرة بن شعبة ، وعروة بن الزبير ، وأمثال هذه النكرات الذي عبدوا

ص : 29

أهواءهم وباعوا دينهم بديناهم بالأموال السحت ، وحاربوا الله ورسوله ، فاختلفوا الأخبار القباح التي تحمل بين طياتها الطعن في أصل الإسلام ، والطعن على علي بن أبي طالب (عليه السلام) والبراءة منه ، إزاء ما يتقاضون من معاوية من أجر

بخس ، فتفنن كل واحد منهم في وضع آلاف الأحاديث الكاذبة والافتراء على الله ورسوله ، ناسين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " ألا من افتري علي حديثا ، فليتبوأ مقعده من النار " . وفي رواية من كذب . ومن الأحاديث المفتراة على

شيخ البطحاء أبي طالب ، حديث " ضحضاح من نار " ، الذي افتراه أزنى تقيف المغيرة بن شعبة ، وإن صحيح الحديث هو " ضحضاح من نور " .

وإليك سرد بعض ما ورد وقد أخذته عنه الآخرون ، أو نسب إليهم ، وإن سبب إسلام المغيرة أنه كان في تجارة مع عدد من رفقاءه الثقيبيين من أهل الطائف ، فغدر بهم وقتلهم جميعا وسرق أموالهم ، وفر إلى

ص : 30

المدينة ، وأسلم ، وهو معروف بغدره ودهائه وفساد أخلاقه وبغضه لعلي (عليه السلام) وبني هاشم ، وتأريخه مدون معروف . وقد أخذ تعبير " الضحاح " من حديث ضحاح النور الذي ورد في حق أهل البيت (عليهم السلام) فحوره وجعله ضحاح نار لأبي طالب .

فقد روى الشيخ الطوسي (١) ، قال : أخبرنا جماعة عن التلعكبري . . . عن . . . عن سلام قال : سمعت أبا سلمى راعي النبي (صلى الله عليه وآله) يقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : سمعت ليلة أسري بي إلى السماء ،

قال العزيز جل ثناؤه : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، قلت : والمؤمنون ، قال : صدقت يا محمد . . . إني اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشقتك لك اسما من أسمائي ، فلا أذكر في

* (هامش) *

(١) الغيبة : ١٤٧ . (*)

ص : 31

موضع إلا وذكرت معي ، فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها عليا ، وشقتك له اسما من أسمائي ، فأنا الأعلى وهو علي ، يا محمد إني خلقتك وخالقت عليا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده أشباح نور من نوري ،

وعرضت ولايتكم على السماوات وأهلها ، وعلى الأرضين ومن فيهن ، فمن قبل ولايتكم كان عندي من المقربين ، ومن جردها كان عندي من الكفار الضالين . يا محمد ، لو أن عبدا عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاحدا

لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم . يا محمد ، تحب أن تراهم ؟ قلت : نعم يا رب . قال : التفت عن يمين العرش ، فالتفت فإذا بأشباح علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) والأئمة كلهم حتى بلغ المهدي (عليه السلام) في ضحضاح من نور قيام يصلون ، والمهدي

ص : 32

في وسطهم كأنه كوكب دري . فقال لي : يا محمد ، هؤلاء الحجج ، وهو النائر من عترتك ، فوعزتي وجلالي إنه حجة واجبة لأوليائي منتقم من أعدائي . انتهى .

أرأيت كيف يبذلون الأحاديث النبوية ويحوروها ويعكسوا مفاهيمها ، وهي واحدة من آلاف الأحاديث الصحيحة (١) . انتقاما منه على دفاعه عن بيضة الإسلام في أول نهوضه وانتقاما من ولده الإمام علي (عليه السلام) وسيفه الذي أباد صنائيد

المشركين من قريش في بدر وأحد وجميع حروبه (صلى الله عليه وآله) ضد الكفر والوثنية . روى الزهري حديث عروة بن الزبير ، أنه قال : حدثتني عائشة ، قالت : كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ أقبل

* (هامش) *

(١) راجع العقائد الإسلامية ، للسيد السيستاني ٣ : ٣١٨ ، طبع قم ، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية ، ومصادرها . (*)

ص : 33

العباس ، وعلي ، فقال : يا عائشة ، إن هذين يموتان على غير ملتي ، أو قال : ديني .

وحديث ثاني عنه : أن النبي قال لعائشة : إن سرك أن تتظري إلى رجلين من أهل النار ، فانظري إلى هذين قد طلعا ، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب (١) .

روى عمرو بن العاص - وهو خذن معاوية وشريكه في أعماله - فيما روى : أنه سمع النبي (صلى الله عليه وآله) يقول : إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، وإنما وليي الله وصالح المؤمنين (٢) .

وعلى هذه الشاكلة تصاغ الأحاديث الموضوعية ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . يمضي هؤلاء ويأتي بعدهم من يروي حديثهم

* (هامش) *

(١) تجد الحديثين في الشرح الحديدي ١ : ٣٥٨ . (٢) المصدر ذاته : ٣٥٨ ، و ٣ : ١٥ ، وصحيح مسلم ١ : ١٣٦ . (*)

ص : 34

ويعتبره من المسلمات ، وينقله على عواهنه ، ويأتي بعدهم ، فينقلون عنهم كما تنطق البيغاء ويثبته في صحاحهم ومسانيدهم دون التحقيق في صحة الحديث ، ولو أنه يعتبرون حديث كل فاسق وشاذ لا سيما إذا كان ضد أهل البيت صحيحا ، مثل

أحاديث عمر بن سعد ، وشمير بن ذي الجوشن قاتل الإمام الحسين ، وبعض الخوارج أمثال عمران بن حطان الخارجي ، الذي يمدح عبد الرحمن بن ملجم بقتله الإمام علي (عليه السلام) بقوله : يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا إلى آخر الأبيات .

إلى هنا أنهى ما نقلت شذرات من كتاب إيمان أبي طالب ، للشيخ عبد الله الجنبري ، مع تغيير بعض العبارات دون المساس بالمعنى .

سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله)

لقد لخصت من الصحيح في سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) للعلامة السيد جعفر مرتضى العاملي من الصفحة ٨٩ فما بعد ،

ومن سيرة المصطفى للمحقق السيد هاشم معروف ابتداء من الصفحة ٤٧ ، بتغيير بعض العبارات دون المساس بالمعنى ، لتقريب معنى البحث إلى ذهن القارئ العزيز .

لقد شاعت الإرادة الربانية ، أن يفقد محمد (صلى الله عليه وآله) أباه وهو لا يزال جنينا في بطن أمه ، بعد ولادته المباركة ثم صارت حليلة السعدية مرضعة له وضئرا ، وظهرت منه البركات والمعجز ، كما سبق تفصيله في المجلد الأول

من موسوعتنا (المصطفى والعترة) .

وفي الرابعة من عمره عاد محمد (صلى الله عليه وآله) من بني سعد إلى أحضان أمه آمنة بنت وهب ، لتقر عينها باحتضان صبيها .

وفي السادسة من عمره صاحب أمه لزيارة قبر أبيه زوجها عبد الله بن عبد المطلب في يثرب ومعها بركة خادمته ، وفي الطريق مرضت الأم وتوفت في (الأبواء) ودفنت فيه ، وعادت به أم أيمن بركة إلى مكة ، وحيدا وكان عمرها حين وفاتها حوالي ثلاثين عاما .

وروى مسلم في صحيحه أنه (صلى الله عليه وآله) قال : استأذنت ربي في زيارة أمي فأذن لي ، فزوروا القبور تذكركم الموت . انتهى .

والدليل على أنها ماتت حنيفية موحدة إذن الله لرسوله (صلى الله عليه وآله) زيارة قبر أمه ، كما أن هذا الحديث هو حجة دامغة على من يدعي حرمة زيارة القبور ، وله مؤيدات كثيرة ،

منها زيارة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قبر عم أبيها سيد

ص : 37

الشهداء حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) في أحد ودوام زيارة النبي (صلى الله عليه وآله)
وجل أهل البيت والصحابة قبور موتاهم في البقيع وفي مقابر قريش بالحجون بمكة ، وغير ذلك .
فانصرف إليه جده العظيم يحيطه بعناية ويفضله على

أولاده ، وكان يفرش له في ظل الكعبة نهرا يستظل فيه ويحيط به ولده وأشراف مكة من قريش
وغيرهم ، فيأتي محمد
(صلى الله عليه وآله) وهو غلام صغير فيثب على فراش جده ، فيأخذه أعمامه ليصرفوه عنه ،
فيقول لهم عبد المطلب :

دعوه ، إن لابني هذا شأن عظيم . ولقد عاش (صلى الله عليه وآله) في كنف جده عبد المطلب
الذي كان يرعاه خير رعاية
، وكان عارفا بنبوته من تلميحات الكهنة والأخبار ، وما سيكون من أمره ، لما وجدوه من أخبار
الأنبياء في توراتهم

وأناجيلهم ، بظهور نبي من بني إسماعيل في قريش ذلك العصر ، تتفق صفاته تماما مع الصفات
التي تحلى بها محمد (صلى الله عليه وآله) وكانوا يخبرون من

ص : 38

يتقون به ويطمئنون إليه أحيانا .

ولما تغلب سيف بن ذي يزن ملك الحبشة على اليمن ، وفد عليه وجوه مكة من القرشيين بزعامة
عبد المطلب للتهنئة على انتصاره ، فخلا به سيف بن ذي يزن ، وبشره بمولود لقريش في مكة ،
يكون رسولا من الله إلى الناس أجمعين ، ووصفه

بصفات ، فوجد عبد المطلب أن تلك الصفات تتوفر في حفيده محمد ، فسجد لله شكرا ، هذا مما يدل على أن عبد المطلب وآبؤه أحناف موحدين ، وأحس سيف بن ذي يزن أن المولود الذي تحدث عنه ، موجود في بيت عبد المطلب ، فأوصاه به

خيرا وحذره من غدر ومكائد اليهود وغيرهم . على أن هذا الحنان الدافق الذي مسح به جده بعض جراحات اليتيم لم يدم له طويلا ، فما أن بلغ محمدا الثامنة من عمره الشريف ، حتى أحس عبد المطلب بالانهيار ، وأن الموت يسرع إليه بين عشية وضحاها ، وكان قد بلغ

ص : 39

مئة عام أو يزيد ، فجمع أولاده قبل موته ، وقسم عليهم المهمات التي كان يقوم بها ، من السقاية والرفادة وغيرها ، والخدمات التي كان يقدمها للمكيين والوافدين من الحجاج وغيرهم ، ولم يكن يفكر في شيء كتفكيره في حفيده (صلى الله

عليه وآله) الذي سيمضي عنه ويتركه وحيدا في هذه الدنيا ، بلا مال ، ولا أب يرعاه ، ولا أم تحنو عليه ، فأوصى أولاده العشرة بمحمد (صلى الله عليه وآله) خير ، وأن يرعوه ، وخص من بينهم ولده عبد مناف (أبو طالب) فعهد إليه برعايته

وأن يضمه إلى أولاده . وكان شقيق والده الراحل عبد الله ، فقد ولدتهما أم واحدة ، ولوح لهم بما سيكون له شأن في مستقبل حياته ، ومما قال لهم : إني قد خلفت لكم الشرف العظيم الذي تطأون به رقاب الناس - على حد تعبير اليعقوبي في تأريخه - . وانتقل الغلام اليتيم بعد وفاة جده إلى بيت عمه

ص : 40

أبي طالب بعد أن رحل جده عن هذه الدنيا - فحلت بالبيت البركة مع ضيق الحال وكثرة العيال - فأدى أبو طالب الإمامة وحفظ الوصية بكل أبعادها ، وكان خير كفيل له في صغره ، وخير ناصر له عند بلوغه عندما احتاج إلى الأنصار والدفاع

عن رسالته ، وجعل حياة محمد ووجوده شغله الشاغل الذي شغله حتى عن أولاده ، في أشد الحالات ضيقا وحرجا حتى النفس الأخيرة من حياته كما سنعرض لذلك في الفصول الآتية .

وجاء في تاريخ اليعقوبي وغيره : أن عبد الله بن عبد المطلب والد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، وعبد مناف (أبو طالب) والزبير والمقدم المعروف - بعبد الكعبة - كانوا لأم واحدة وهي فاطمة بنت عائد المخزومي ، وتكنى بأب حكيم

البيضاء ، وبقية أولاد عبد المطلب لأمهات شتى ، وورث أبو طالب مع فقره ماليا زعامة أبيه عبد المطلب على قريش ، وخضع له القريب والبعيد .

ص : 41

وجاء عن علي (عليه السلام) أنه قال : إن أبي ساد الناس فقيرا وما ساد الناس وقريش فقير غيره من قبل . وما كان يعنيه شئ كما تعنيه رعاية محمد قط من المحافظة عليه ، والحرص على حياته ، فإذا اضطر إلى سفر لخارج مكة أو الحجاز

أخرجه معه ، وكانت أولى سفرات النبي (صلى الله عليه وآله) مع عمه إلى بصرى وله من العمر تسع سنين ، فلم تطب نفس أبي طالب يوم ذلك أن يتركه مع أولاده ويمضي في سفرته الطويلة هذه ، في حين أن زوجته الطاهرة فاطمة بنت أسد كانت تحرص عليه أكثر مما كانت تحرص على أولادها وصبيتها ، وترعاه في ليالها ونهارها .

ويقول المؤرخون وأهل الأخبار أن الأحبار والرهبان ومن رآه من الكهان في تلك السفارة - لا سيما راهب بصرى (بحيرى) ، الذي أخبر عمه أبو طالب أنه نبي هذه الأمة ، وكان يعلم مما شاهده من صفاته ومعجزه ومما

أكد له أبوه عبد المطلب ، وأصر عليه أن يرجعه إلى مكة حتى لا يغتاله اليهود ، الذين يرون العلامات التي في كتبهم متحققة فيه ، فقطع سفرته وعاد به إلى مكة كما أن بعض المخلصين من الأحبار والرهبان وكل من رآه قد نصحوا أبا طالب

بالحرص عليه ، وخوفوه من غدر اليهود الذين كانوا ينتظرون مولودا من قريش يبعثه الله رسولا إلى العرب والعجم . وقد أظهر الله سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وآله) في تلك الرحلة من الكرامات والفضائل ما لا يدخل في حدود التصور ، وهو

مع تلك القافلة التي ضمت أعيان المكيين والقرشيين . وظل يتيم عبد الله في أحضان عمه أبي طالب وزوجته فاطمة بنت أسد الهاشمية ، لا يشعر بالغبية بين أولادهم ولا يحس بمرارة اليتيم والحاجة ، ووجد منهما من الحرص والرعاية فوق ما يتصوره إنسان من أبوين مع وحيد عزيز عليهما ، وبلغ من حرص فاطمة بنت أسد

عليه أنها كانت في سنين الجذب والقحط التي مات فيها الناس جوعا وعطشا ، تحرم أولادها من القوت الضروري وتطعمه إياه ، وبمجرد أن يمد يده إلى الطعام تحل البركة فكلهم يأكلون ويشبعون والزاد كما هو ، واستمرت تعامله بهذه المعاملة

الفدائية إلى أن شب وترعرع ، وأسرعت إلى تصديقه والإيمان برسالته والإخلاص له في السر والعلانية هي وزوجها وأولادهما منذ أن بدأ يدعو الناس لعبادة الواحد الأحد ، والاستخفاف بعبادة الأصنام والأوثان التي اتخذوها أربابا من دون الله

، لأنهم في الأصل كانوا أحناف موحدون على دين جدهم إبراهيم الخليل . ولم يكن النبي محمد بن عبد الله ، وهو الوفي الكريم الذي علم أجيال الناس الوفاء والإحسان ، أن ينسى مواقفها

الجليلة التي أنسته فقد أبيه وأمه وجده ، فلما ماتت بكاءا بكاء الثكلى ، وقال الدموع تنهمر من

ص ٤٤ :

عينيه : " اليوم ماتت أمي " ، وكفنها بقميصه ونزل في قبرها واضطجع فيه ، وصنع ما لم يصنعه مع غيرها من قبلها ، وقال لما سئل عن موقفه الذي لم يعهدوا منه مع أحد قبلها ، قال : إنها كانت بمثابة أمي ، تجيع أولادها وتطعمني ، وتشعثهم وتدهنني ، وما أحسست باليتم منذ أن التجأت إليها .

وعلى أي حال كما كان عمه معه ، كانت زوجته الوفية ، حرصا وعظفا وإيمانا وتضحية في سبيل محمد (صلى الله عليه وآله) ورسالته ، ودفاعا عنه وعنهما في جميع المواقف والمشاهد .

وامتاز هذا البيت عن غيره ، حتى من بني عمومته وبنوهم الأقربين ومن تناسل منهم في جميع المراحل التي مر بها ودعوته (صلى الله عليه وآله) . ولما أعلن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب إسلامه على رؤوس الأشهاد مدحه أخوه أبو طالب مشجعا

ص : 45

إسلامه ، بقوله :

فصبرا - أبا يعلى - على دين أحمد * وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
نبي أتى بالدين من عند ربه * بصدق وحق لا تكن حمزة كافرا

فقد سرنى إذ قلت " لبيك " مؤمنا * فكن لرسول الله في الدين ناصرا
وناد قريشا بالذي قد أتيت * جهارا وقل : ما كان أحمد ساحرا (١)

فقد كان إسلام حمزة تطورا جديدا لم يكن داخلا في حسابات قريش ، حيث قلب الموازين رأسا على عقب ، وفت في عضد قريش ، وزاد في مخاوفها وكبح جماحها ، ومرغ كبريائها .

* (هامش) *

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ : ٣١٥ ، وإيمان أبي طالب للشيخ المفيد : ٨٠ . (*)

أبو طالب مؤمن قريش

كان شيخ البطحاء الدرع الواقى للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، في حياة أبيه عبد
المطلب وبعد وفاته .

ولله در ابن أبي الحديد حينما أنشد هذه الأبيات :

ولولا أبو طالب وابنه * لما مثل الدين شخصا فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى * وهذا بيثرب جس الحماما

تكفل عبد مناف بأمر * وأودى فكان علي تماما
فقل في ثبير مضى بعد ما * قضى ما قضاه وأبقى شماما

فله ذا فاتحا للهدى * والله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبي طالب * جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضر أباة الصباح * من ظن ضوء النهار الظلاما (١)

هكذا كان أبو طالب يتجاهر بالدفاع عن الرسول الأعظم ورسالة السماء ، وهو يبحث أخاه حمزة
بن عبد المطلب على اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله) والصبر على طاعته ، والثبات
على دينه ، وكذا يدفع ولده جعفر أن يقف إلى جنب أخيه

علي ويصل جناح ابن عمه . ولم يكن يدافع عن دعوة ابن أخيه محمد بن عبد الله (صلى الله
عليه وآله) فحسب ، بل جند كل طاقاته في سبيل نشر الدعوة ،

* (هامش) *

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٣ : ٣١٧ ، طبعة مصر . (*)

ووقف منها موقف البطل المجاهد طيلة حياته ، وسجل له التاريخ كل تلك المواقف المشرفة بكل إكبار وفخر .

ولقد شمر عن ساعد الجد في الدفاع عن ابن أخيه منذ بزوغ شمس الرسالة ، إلى يوم وفاته (عليه السلام) ، حيث كان كالسد المنيع يحول بينه وبين المشركين ، تلك القوة الوثنية العظمى التي كانت تحكم الجزيرة العربية وتمسك بمقدراتها وبين

تحقيق أهدافها الضالة في وأد الرسالة السماوية ودعاتها في مهدها . ولأبي طالب شيخ البطحاء مواقف مشهورة ومشهودة له في تصلبيه في الدفاع عن الرسالة ، تفوق التصور والإحصاء وقفها دون ابن أخيه الرسول الأعظم ورسالته إلى آخر نفس من

أنفاسه . ولم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عزيزا ، ممنوعا من الأذى ، ومعصوما من كل اعتداء ، حتى توفي الله أبا طالب (عليه السلام) ، فنبت به مكة ، ولم تستقر له دعوة ، وأجمع طواغيت

قريش على الفتك به ، وعندها جاء نداء ربه : " أخرج من مكة فقد مات ناصرك " (١) . هكذا كان أبو طالب سندا وكافلا وداعيا لابن أخيه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) .

ومع ذلك كله فهناك تخرصات تدعي أن أبا طالب مات كافرا ، ولم يسلم برسالة محمد (صلى الله عليه وآله) ، وما المواقف المشهودة التي وقفها أبو طالب (عليه السلام) دون تبليغ الرسالة عنك ببعيد ، منها :

١ - موقفه من ابن الزبير لما تجاسر على الرسول (صلى الله عليه وآله) . عن السيد عبد الحميد بن النقي الحسيني - النسابة - بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة ، قال : سمعت أمير المؤمنين

* (هامش) *

(١) إيمان أبي طالب للمفيد : ٧٤ ، والدرجات الرفيعة للسيد علي خان : ٦٢ . (*)

عليا (عليه السلام) يقول : مر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفر من قريش ، وقد نحروا جزورا ، وكانوا يسمونها الظهيرة ، ويذبحونها على النصب ، فلم يسلم عليهم ، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا : يمر بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا ؟

فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه ، فقال عبد الله بن الزبير السهمي : أنا أفعل ، فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو ساجد فملاً به ثيابه ومظاهره ، فانصرف النبي (صلى الله عليه وآله) حتى أتى عمه أبا طالب ، فقال :

يا عم من أنا ؟ فقال : ولم يا بن أخ ؟ فقص عليه القصة ، فقال أبو طالب : وأين تركتهم ؟ فقال : بالأبطح ، فنادى في قومه : يا آل عبد المطلب ، يا آل هاشم ، يا آل عبد مناف ، فأقبلوا إليه من كل مكان مليون ، فقال : كم أنتم ؟ قالوا : نحن أربعون ،

قال : خذوا سلاحكم ، فأخذوا سلاحهم ، وانطلق بهم ، حتى انتهى إلى أولئك نفر ، فلما رأوه قاموا وأرادوا أن يتفرقوا ، فقال لهم : ورب هذه البنية - الكعبة -

لا يقوم منكم أحد إلا جللته بالسيف ، ثم أتى إلى صفاة (١) كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفهار
(٢) ثم قال : يا محمد سألتني من أنت ؟ ثم أنشأ يقول ، ويومي بيده إلى النبي (صلى الله عليه وآله)
: وآله) :

أنت النبي محمد * قرم أعز مسود
لمسودين أطائب * كرموا وطاب المولد

نعم الأرومة أصلها * عمرو الخضم الأوحد
أنى تضام ولم أمت * وأنا الشجاع العربد

وبنو أبيك كأنهم * أسد العرين توقد

ولقد عهدتك صادقاً * في القول ما تتفند
ما زلت تنطق بالصواب * وأنت طفل أمرد

حتى أتى على الأبيات كاملة ثم قال أبو طالب : يا محمد ، أيهم الفاعل بك ؟ فأشار النبي (صلى
الله عليه وآله) إلى عبد الله

* (هامش) *

(١) الصفة : الحجر الصلد الضخم . (٢) الفهر : الحجر قدر ما يدق به الجوز . (*)

ص ٥٢ :

ابن الزبيرى ، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماه ، ثم أمر بالفرت والدم ، فأمره على رؤوس
الملا كلهم ، ثم قال : يا ابن أخ أراضيت ؟ ثم قال : سألتني من أنت ؟ أنت محمد بن عبد الله حتى
نسبه إلى آدم (عليه السلام) ثم قال : أنت والله أشرفهم

حسباً ، وأرفعهم منصباً ، يا معشر قريش ، من شاء منكم أن يتحرك فليفعل ، أنا الذي تعرفوني .
روي هذا الحديث بطرق متعددة من مصادر الفريقين ، فراجع .

٢ - موقفه من قضية عثمان بن مظعون . هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي ،
أبو السائب : وكان من حكماء العرب في الجاهلية ، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً ، وهاجر إلى
الحبشة الهجرة الأولى ، شهد بدرًا ، ومات بعدها في السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات
بالمدينة من المهاجرين وأول من

ص ٥٣ :

دفن بالبيع (١) .

كان عثمان بن مظعون يقف بباب الكعبة يعظ الناس أن لا يعبدوا الأصنام ، فوثب عليه فتية من
قريش وضربوه فوقعت ضربة أحدهم على عينه ففقدتها ، وبلغ أبا طالب ذلك فغضب غضباً شديداً
وقام في أمره حتى أخذ بثأره ، وكانوا قد اجتمعوا إلى أبي

طالب وناشدوه أن يدعها ويؤدون له الدية ، فأقسم لهم : إني لا أرضى حتى أقلع عين الذي قلع عينه ، فكان ما أراد ، وقد ذكر هذه الحادثة في أبيات له ، منها :

أمن تذكر أقوام ذوي سنة * يغشون بالظلم من يدعى إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما أمروا * والعذر فيهم سبيل غير مأمون

* (هامش) *

(١) راجع الإصابة : ٥٤٥٣ ، وطبقات ابن سعد ٦ : ٦٨٢ ، ومعجم الشعراء : ٩٨ ،
وصفوة الصفوة ١ : ٨٧١ ، وحلية الأولياء ١ : ٢٠١ ، والأعلام ٤ : ٨٧٣ . (*)

ص ٥٤ :

ألا ترون أذل الله جمعكم * أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون ولا يخشون مقلته * طعنا دراكا وضربا غير موهون
فسوف نجزيهم إن لم تمت عجلا * كيلا بكيل جزاء غير مغبون

إلى أن قال :

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب * على نبي كموسى أو كذي النون
يأتي بأمر جلي غير ذي عوج * كما تبين في آيات ياسين (١)

* (هامش) *

(١) مؤمن قريش : ٨٧١ ، عن شرح النهج ٣ : ٣١٣ ، والحجة : ٥٠ ، والغدير ٧ : ٥٣٣ ، وهاشم
وأمية : ١٠٢ ،
وشيخ البطحاء : ٣٠ وفيه زيادة ، وديوان أبي طالب : ٩ و ١٠ ، بزيادة أعيان الشيعة : ٢٤ -
٣٩ . (*)

ص ٥٥ :

٣ - ومنها : إجارته أبا سلمة المخزومي ، وقد أسلم أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، فأرادت قريش أن تعذبه لتصرفه عن الإسلام فلجأ إلى (خاله) أبي طالب ، فخلصه من العذاب ، فجاء وفد من مخزوم إلى أبي طالب وقالوا له : يا أبا طالب

، هبك منعت منا ابن أخيك محمدا ، فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ ! فأجابهم : إنه استجارني ، وهو ابن أختي (١) ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي (٢) .

* (هامش) *

(١) أخته برة بنت عبد المطلب شقيقة عبد الله والد الرسول (صلى الله عليه وآله) وأبي طالب والزيبر ،

سلسلة آباء النبي (صلى الله عليه وآله) .

(٢) مؤمن قريش : ٨١ ، عن شيخ الأبطح : ٩٢ ، والنهج الحديدي ٣ : ٣٠٦ و ٣٠٧ ،

والسيرة الهشامية : ١ - ٢ ، والسيرة النبوية ١ : ٦٥٢ ، وأعيان الشيعة : ٣١ - ٣٩ . (*)

ص ٥٦ :

كما كان يوصي النجاشي بأبيات للذين لجأوا إليه من المؤمنين ومنهم ابنه جعفر ، بعد رجوع عمرو بن العاص خائبا منه . وقد ذكرنا ذلك في فصل شعره .

ولم يقف دفاعه عند هذا الحد حتى شمل الدعوة الإسلامية بكل أبعادها والتي اعتنقها عن عقيدة و يقين وبصيرة منها تصديق الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ، فقد أقسم لقريش بقوله : والله ، ما كذب ابن أخي قط ، بل وصفه ب (الناصح

والصادق الأمين) في عدة مناسبات أخذتها من عدة قصائد نظمها في حينها . ومن أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه وحثه أخاه حمزة لما أعلن إسلامه أمام طغاة قريش على مؤازرة ابن أخيه : فصبرا - أبا يعلى - على دين أحمد * وكن مظهرا للدين وفقت صابرا

ص ٥٧ :

نبي أتى بالدين من عند ربه * بصدق وحق لا تكن حمزة كافرا
فقد سرنى إذ قلت " لبيك " مؤمنا * فكن لرسول الله في الدين ناصرا
وناد قريشا بالذي قد أتيت * جهارا وقل : ما كان أحمد ساحرا (١)

وهناك أشعار كثيرة تدل على إيمان أبي طالب ، سنذكر قسما منها فيما بعد ، منها قوله :

ودعوتى وعلمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا

* (هامش) *

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٣١٥ ، وإيمان أبي طالب للشيخ المفيد : ٨٠ . (*)

ص ٥٨ :

وقال :

ولقد عهدتك صادقا * بالقول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصواب * وأنت طفل أمرد

وقال :

وإن كان أحمد قد جاءهم * بصدق ولم يأتهم بالكذب

فهل يصح أن تصدر هذه الأبيات من مشرك كافر ؟ وهل يصح أن يحمده النبي (صلى الله عليه وآله) الله عز وجل بقوله : " الحمد لله الذي هدانا لهذا " لو كان أبو طالب مات كافرا ؟ وهل للهداية معنى غير موته على الشهادة بالوحدانية لله ، والتصديق بالنبوة المحمدية ؟

عطف النبي (صلى الله عليه وآله) على عمه أبي طالب :

أصابته قريش أزمة مهلكة ، وسنة مجدبة منهكة ، وكان أبو طالب ذا مال يسير ، وعيال كثير ، فأصابه ما أصاب قريشا من العدم والإضاعة والجهد والفاقة ، فعند ذلك دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمه العباس ، فقال له : يا أبا الفضل ، إن

أخاك (أبو طالب) كثير العيال مختل الحال ، ضعيف النهضة والعزيمة وقد نزل به ما نزل من هذه الأزمة ، وذوو الأرحام أحق بالرفد ، وأولى بحمل الكل في ساعة الجهد ، فانطلق بنا إليه لنعينه على ما هو عليه ، فنحمل عنه بعض أثقاله ، ونخفف

عنه من عياله ، يأخذ كل منا واحدا من بنيه ، ليسهل ذلك عليه بعض ما ينوء فيه . فقال العباس : نعم ما رأيت ، والصواب فيما أتيت ، هذا والله الفضل الكريم ، والوصل الرحيم . فلقيا أبا طالب فصبراه ، وفضل آباءه ذكراه وقالوا له :

إننا نريد أن نحمل عنك بعض المال ، فادفع إلينا من أولادك من يخف عنك به الأثقال . فقال أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلًا - وفي رواية - إذا تركتما لي عقيلًا وطالبا ، فافعلما ما شئتما . فأخذ العباس جعفرا ، وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله)

عليًا ، فانتخبه لنفسه (فانتخبه) ، واصطفاه لمهم أمره ، وعول عليه في سره وجهره ، وهو مسارع لمرضاته ، موفق للسداد في جميع حالاته .

وقد روي من طريق آخر : أن العباس أخذ جعفرا ، وأخذ حمزة طالبا ، وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليًا . وروي عن طريق آخر : أن أبا طالب قال للنبي (صلى الله عليه وآله)

والعباس حين سألاه ذلك : إذا خليتما لي عقيلًا ،
فخذا من شئتما ، ولم يذكر طالبا .

استسقاء أبو طالب بالنبي (صلى الله عليه وآله) :

بعد حذف السند ، عن عرفطة الجندعي ، قال : بينا أنا بالبقاع من نمرة (١) ، إذ أقبلت عير من أعلى نجد حتى حاذت الكعبة ، وإذا غلام قد رمى بنفسه من عجز بعير ، حتى أتى الكعبة ، وتعلق بأستارها ، ثم نادى : يا رب البيت أجرني ، فقام

إليه شيخ جسيم وسيم ، عليه بهاء الملوك ووقار الحكماء ، فقال : ما خطبك يا غلام ؟ فقال : إن أبي مات وأنا صغير ، وإن هذا النجدي قد استعبدني ، وقد كنت أسمع أن الله بيئنا يمنع من الظلم ، فجاء النجدي فجعل يسحبه ويخلصه من أستار الكعبة ،

فأجاره القرشي ومضى النجدي ، وقد تكنعت (٢) يده . قال عمرو بن خارجة : فلما سمعت الخبر قلت : إن

* (هامش) *

(١) منطقة البقاع بطريق مكة بعد العقبة المتوجه إلى مكة . (٢) تكنعت يده : تقيضت ويبست . *

لهذا الشيخ لشأنا ، فصوبت رجلي نحو تهامة حتى وردت الأبطح (١) وقد أجدبت الأنواء ، وأخلقت العواء ، وإذا قریش حلق قد ارتفعت لهم ضوضاء ، فقائل يقول : استجبروا باللات والعزى ، وقائل يقول : بل استجبروا بمناة الثالثة الأخرى ،

فقام رجل من جملتهم يقال له ورقة بن نوفل - وهو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد - فقال : إنني نوفلي وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل ، فقالوا : كأنك عنيت أبا طالب ؟ قال : هو ذلك ، فقاموا إليه بأجمعهم وقمت معهم ، فأتينا أبا طالب فخرج

إلينا من داره ، فقالوا : يا أبا طالب قد أفضط الواد ، وأجدبت العباد ، فقم واستسق لنا ، فقال : رويدكم دلوك الشمس ، وهبوط الريح ، فلما زاغت الشمس ، أو كادت ، وإذا أبو طالب قد خرج

وحوله أغيلمة (٢) من بني عبد المطلب ،

* (هامش) *

(١) البطحاء - الأرض المنبسطة بين الجبال - وهي مكة . (٢) جمع غلام شباب . (*)

ص : 63

وفي وسطهم غلام يافع كأنه شمس ضحى تجلت عن غمامة قتماء ، فجاء حتى أسند ظهره إلى الكعبة ، فاستجار بها ولاذ بإصبعه ، وبصيص الأغيلمة حوله . وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا حتى لت ولف ، وأسحم ،

وأقتم ، وأرعد ، وأودق ، وانفجر به الوادي ، وافعوعم (ونزل الغيث كأفواه القرب) ، وبذلك قال أبو طالب شعرا يمدح به النبي (صلى الله عليه وآله) :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل
بميزان صدق لا يخس شعيرة * ووزان حق وزنه غير عائل

وجاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في المدينة بعد الهجرة فقال : يا رسول الله ، وليس لنا صبي

ص : 64

يصطبح (١) ، ولا بعير يئط . ثم أنشد :

أتيناك والعذراء يدمي لبانها * وقد ذهلت أم الرضيع عن الطفل
وألقي بكفيه الصبي استكانة * من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي

ولا شئ مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامي والطحل الفتل (٢)

وليس لنا إلا إليك فرارنا * وأين يفر الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي (صلى الله عليه وآله) يجر رداءه ، حتى رقى المنبر ، فحمد

* (هامش) *

(١) يصطبح : أي يتناول الصبوح - الفطور - ويئط : أي يصوت ، وهو كناية عن المجاعة التي أصابتهم . (٢) الطهل : وهو اليسير من الطلاء العشب ، والفتل : حبوب بعض الأعشاب . (*)

ص : 65

الله وأثنى عليه ، ثم قال : اللهم اسقنا غيثا مغيصا ، مريا مريعا ، سبحا سجالا غدقا ، طبقا دائما دررا تنبت به الزرع ، وتملا به الضرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها ، واجعله (اللهم) سقيا عاجلا غير راث . فوالله ما رد رسول الله (صلى

الله عليه وآله) يده إلى نحره ، حتى ألقى السماء بأرواقها ، وجاء أهل البطانة يصيحون : يا رسول الله الغرق الغرق .

فقال (صلى الله عليه وآله) : اللهم حوالينا ولا علينا . فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحقق بها كالإكليل ، فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بدت نواجذه ، ثم قال : لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟

فقام علي (عليه السلام) فقال : يا رسول الله لعلك أردت قوله : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل فقال (صلى الله عليه وآله) : أجل . ثم قام رجل من كنانة فأنشد :

ص : 66

لك الحمد والحمد ممن شكر * سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة * إليه وأشخص منه البصر

فما كان إلا كما ساعة * وأسرع حتى رأينا الدرر
دقاق العزالي وجم البعاق * أغاث به الله عليا مضر

فكان كما قاله عمه * أبو طالب ذو رواء غرر
به يسر الله صوب الغمام * فهذا العيان لذاك الأثر

فمن يشكر الله يلق المزيد * ومن يكفر الله يلق الغير

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن يك شاعر أحسن فقد أحسنت .

يوم الدار ودعوة النبي (صلى الله عليه وآله) لقومه

لقد أجمع المؤرخون على أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما أمره تعالى أن ينذر الأقربين من عشيرته ، دعا علياً (عليه السلام) وقال له : اصنع طعاماً واجعل عليه رجل شاة ، واملاً لنا عسا من لبن واجمع لي بني هاشم وعبد المطلب حتى أكلهم وأدعوهم إلى الإسلام وأبلغهم ما أمرت به . ففعل علي (عليه السلام) ما أمره به ، ودعاهم وكانوا يوم ذاك أربعين رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصون ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمة ، والعباس ، وأبو لهب ، وبنو عمومتهم ، فأحضر لهم علي (عليه السلام) الطعام فأكلوا حتى شبعوا . وجاء عن علي (عليه السلام) أنه قال : لقد كان الرجل الواحد منهم يأكل جميع ما شبعوا كلهم منه ، فلما فرغوا من الأكل وأراد النبي (صلى الله عليه وآله) أن يكلمهم ، بدره أبو لهب عمه إلى

الكلام ، وقال : ما أشد ما سحركم صاحبكم ، فنفرق القوم ولم يكلمهم النبي (صلى الله عليه وآله) . وبعد أيام قال لعلي (عليه السلام) : يا علي ، قد رأيت كيف سبقني هذا الرجل إلى الكلام ، فاصنع لنا في غد كما صنعت بالأمس ، واجمعهم

لعلي أكلهم بما أمرني الله فصنع علي (عليه السلام) لهم الطعام ، فلما أكلوا وشربوا قال لهم النبي (صلى الله عليه وآله) : ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بمثل ما جئتمكم به ، لقد جئتم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي من بعدي ، فأحجم القوم إلا علي (عليه السلام) ، فقام وهو أحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأحمشهم ساقاً وقال : أنا يا نبي الله ، فأمره النبي بالجلوس ، وكرر عليهم مقالته ، فلم يستجب له أحد غير علي (عليه السلام) .

ولما رأى النبي (صلى الله عليه وآله) إجماعهم وإصرار علي (عليه السلام) أخذ بـرقبته وقال :
: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم (من بعدي) ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقام القوم يضحكون ،
ويقولون لأبي طالب : قد أمرك محمد أن تسمع لابنك وتطيعه .

أبو طالب يهدد قريشا

كانت قريش يؤذون النبي (صلى الله عليه وآله) بثتى أنواع الأذى ، وكان أبو طالب ، ينهاهم ولا ينتهون ، فخشى أن يحاربهم ، ويدوسهم وهم سكان بيت الله ، وأهل حرمة ، فيكون سببا إلى سبه ، " لأنه لم يكن يسئل في مكة سيفا إلا فاجر "

، وبذلك أمر الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) في سورة الجحد : * (قل يا أيها الكافرون) * إلى آخر السورة . فهدد أبو طالب قريشا بقوله :

ولولا حذاري أن أجيء بسبة * تنت على أشياخنا في المحافل
لداستكم منا رجال أعزة * إذا جردوا أيمانهم بالمناصل رجال

كرام غير ميل عوارد * كمثل السيوف في أكف الصياقل
وضرب ترى الفتيان فيه كأنهم * ضواري أسود عند لحم الأكايل

رددناهم حتى تبدد جمعهم * وندفع عنا كل باغ وجاهل

ومنها :

ولكننا نسل كرام لسادة * بهم تعتزى الأقوام عند المحافل
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل

ومنها :

وقفنا لهم حتى تبدد جمعهم * وحسر عنا كل باغ وجاهل
شباب من المطالبين وهاشم * كبيض السيوف بين أيدي الصياقل

وهناك أبيات كثيرة على هذه القافية والروية والمعنى ، نذكر منها هذه الأبيات :

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد * وأحببته حب الحبيب الموصل
وجدت بنفسي دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

فلما زال في الدنيا جمالا لأهلها * وشينا لمن عادى وزين المحافل
حليما رشيدا حازما غير طائش * يوالي إله الخلق ليس بماحل

ص : 72

فأيده رب العباد بنصره * وأظهر ديننا حقه غير باطل

ومن أنصف وتأمل هذه الأبيات في مدح النبي (صلى الله عليه وآله) قطع بصدق إسلام أبي
طالب وولائه واعترافه برسالاته وإقراره بنبوته .

إقرار أبي طالب بالتوحيد

أما أشعار أبي طالب ، المتضمنة إقراره بالتوحيد لله وتمجيده وتقديسه ، فهي مسطورة في كتب العلماء ، وتعاليق أرباب الفن من الأدباء ، إليك بعضها منها ، قوله :

ملك الناس ليس له شريك * هو الجبار والمبدي المعيد
ومن فوق السماء له بحق * ومن تحت السماء له عبيد

فانظر كيف أقر الله تعالى في هذين البيتين بالعبودية

والتوحيد ، وخلع الأنداد له . وقوله :

يا شاهد الله علي فاشهد * آمنت بالواحد رب أحمد من ضل في الدين فإني مهتدي إلى غير ذلك
من شعره الوافر ، الذي يقر فيه الله بالعبودية والوحدانية ، ولرسوله الكريم بالتأييد والطاعة .

سبب كتمان إسلام أبي طالب :

إن الذي دعا أبا طالب لكتمان إيمانه ، وخفاء إسلامه أنه كان سيد قريش غير مدافع ، ورئيسها غير منازع ، وكانوا ينقادون لأمره ويطيعون ، وهم بالله مشركون ، وللأصنام يعبدون ، فلما أظهر الله تعالى دينه ، وأرسل نبيه (صلى الله عليه وآله) ، شمر أبو طالب عن ساعد الجد في نصرته ، وإظهار دعوته ، وهو برسالته مؤمن وبيعه موقن سرا ،

كاتما لإيمانه ، ساترا لإسلامه ، لأنه لم يكن قادرا على القيام بنصرة النبي (صلى الله عليه وآله) وتمهيد الأمور له بنفسه خاصة من دون أهل بيته وأصحابه وعشيرته وأحلافه ، الذي كانوا

على منهاج قريش في الشرك والكفر ظاهرا .

وكان أبو طالب لا يأمن إذا أظهر إيمانه وأفشى إسلامه أن تتعالى عليه قريش ، ويخذله حليفه وناصره ، ويسلمه حميمه وصاحبه ، فيؤدي فعله ذلك إلى إفساد قاعدة الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله) ورسالته ، والتغريب بهم ، فكنتم إيمانه

وإسلامه لاستدامة قريش على طاعته ، والانقياد لسيادته ، ليتمكن من نصره النبي (صلى الله عليه وآله) ، ودوام حرمة ، والأخذ بحقه ، وإعزاز كلمته ، ولهذا السبب كان أبو طالب يخالط قريشا ويعاشرهم ويحضر مجالسهم ، ويشهد مشاهدتهم . مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف ، وكمؤمن آل فرعون ، وفي القرآن الكريم ، والسير والآثار ، أمثلة

ص : 75

كثيرة حول من يكتنم إيمانه . وقصة أصحاب الكهف وكنتم إيمانهم مع قومهم مشهورة حتى تمكنوا من هدفهم .

كما أخبر أبو الفضل بن شاذان - يرفعه إلى الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي (رحمهم الله) ، مرفوعا عن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في حديث طويل - يذكر فيه : أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله (: إني قد أيدتك بشيعتين : شيعة تنصرك سرا ، وشيعة تنصرك علانية ، فأما التي تنصرك سرا فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب ، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ثم قال : وإن أبا طالب

كمؤمن آل فرعون يكتنم إيمانه . ومن ذلك الحديث الذي أورده مسندا فيما تقدم من هذا البحث ، من قول الإمام الصادق

(عليه السلام) : إن جبرئيل (عليه السلام) أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمد ، إن ربك

يقرئك السلام ، ويقول لك : إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك ، فآتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين .

صحيفة المقاطعة ، وشعب أبي طالب

لما رأَت قريش عز النبي (صلى الله عليه وآله) بمن معه ، وانتشار الإسلام بين القبائل العربية ، وعز أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة ، بالإضافة إلى إعلان حمزة بن عبد المطلب الإسلام ، ووقوف علي بن أبي طالب بفتوته مدافعا عن ابن

عمه وعن دعوته الإسلامية ، ومناصرة بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، وتيقن المشركون أن لا قدرة لهم على قتل محمد (صلى الله عليه وآله) وإن أبا طالب لا يسلم محمدا (صلى الله عليه وآله) إليهم ولا يخذله ، فأخذهم الفرق من اتساع الدعوة وانتشارها ، وأحسوا بالخطر المحدق بهم على زعامتهم ومصلحتهم

وأن جميع جهودهم وظلمهم ومقاومتهم للإسلام ولرسوله باءت بالفشل . لذا حاولت قريش أن تقوم بتجربة جديدة غير أسلوب الإرهاب والتعذيب والضغط ، فلجأت إلى الحصار الاقتصادي والاجتماعي ، ضد أبي طالب والهاشميين ، وهذا الحصار لا يخلو من **ثلاث حالات** :

إما أن يرضخوا لمطالبها في تسليم محمد (صلى الله عليه وآله) لها لتقتله .

وإما أن يتراجع محمدا (صلى الله عليه وآله) عن دعوته .

وإما أن يموتوا جوعا وذلا ، وهذا الإجراء يرفع المسؤولية عن الفرد المحدد ، فتكون مسؤولية جماعية عامة ، فقروا هذا الرأي بعد اجتماع مشيخة قريش في دار الندوة .

اجتمعوا في دار الندوة ، وفي بعض الروايات : اجتمعوا في المخصب من الخيف في منى بعد أن أفنعوا كنانة - القريبيين من مكة - بالاشتراك معهم في المقاطعة ،

وتداولوا الآراء مع شياطينهم وقلبوا الأمور ظهرا لبطن ، فاتخذوا قرارا بالإجماع أن يكتبوا صحيفة مقاطعة بني هاشم ويودعوها في الكعبة بشروط قاسية وملزمة لكل قريش ومن تبعهم ، وهي أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يشاروهم ، ولا

يحدثوهم ، ولا يجتمعوا معهم ، ولا يناكحوهم ولا يقضوا لهم حاجة ولا يعاملوهم حتى يدفع بنو هاشم إليهم محمدا فيقتلوه ، أو يخلوا بينهم وبينه ، أو ينتهي من تسفيه أحلامهم .

ووقع على هذه الصحيفة أربعون رجلا من وجوه قريش ، وختموها بأختامهم ، وعلقت هذه الوثيقة في الكعبة ، وكان ذلك في سنة سبع من البعثة على أشهر الروايات .

ولما علم أبو طالب بصحيفة المقاطعة ، قام إليهم يحذرهم الحرب ، وقطيعة الرحم ، وينهاهم عن اتباع السفهاء ، ويعلمهم استمراره على مؤازرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)

ص : 79

بكل ما يستطيع من قوة ويذكرهم على فضله وشرفه ، ويضرب لهم المثل بناقة صالح ، ويذكرهما بإلغاء أمر الصحيفة ، بقوله :

ألا أبلغا عني على ذات بينها * لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة * ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وأن الذي لفقتم في كتابكم * يكون لكم يوما كراغبة السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الزبي * ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا * أوأصرنا بعد المودة والقرب

ص : 80

إلى آخر الأبيات المذكورة في كتاب (إيمان أبي طالب - للإمام شمس الدين بن معد المتوفى سنة ٦٣٠هـ) .

ودخل بنو هاشم الشعب - شعب أبي طالب - ومعهم بنو المطلب بن عبد مناف باستثناء عبد العزى (أبي لهب) ، لعنه الله وأخزاه ، واستمروا فيه إلى السنة العاشرة ، وكانوا ينفقون من أموال السيدة خديجة بنت خويلد ، وأموال أبي طالب (عليه

السلام) حتى نفذت ، ولقد اضطروا بعدها إلى أن يفتاتوا بورق الشجر ، وكان صبيبتهم يتضوعون جوعا ، وظل المسلمون في شعب أبي طالب يقاسون الجوع والحرمان لا يخرجون منه إلا في أيام الموسم ، موسم العمرة في رجب ، وموسم الحج

في ذي الحجة ، فكانوا يشترون حينئذ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جدا . وكان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يأتيهم بالطعام سرا من

ص : 81

مكة ، من حيث تمكن ، وقد كان يأتيهم سرا من أناس كانوا مرغمين على مجارة قريش كهشام بن عمرو أحد بني عامر ، الذي كان يأتي بالبعير بعد البعير ليلا محملا بأنواع الطعام والتمر إلى فم الشعب ، فإذا انتهى به إلى ذلك المكان نزع عنه

خطامه وضربه على جبينه ، فيدخل الشعب بما عليه ، ولكن تلك الصلات البسيطة لم تكن لتكفيهم . وكان أبو طالب كثيرا ما يخاف على النبي (صلى الله عليه وآله) البيات في مكان معين ، فإذا أخذ الناس مضاجعهم ، واضطجع النبي (صلى الله

عليه وآله) على فراشه ، ورآه جميع من في الشعب ، ونام الناس جاء وأقامه ، وأضجع ابنه عليا مكانه ، وقاية له ، ويقول له :

اصبرن يا بني فالصبر أحجى * كل حي مصيره لشعوب

قد بذلتك والبلاء شديد * لفاء الحبيب وابن الحبيب

ص : 82

لفداء الأعز ذي الحسب الثاقب * والباع ، والكريم النجيب

إلى آخر أبياته . . .

فيجيبه ابنه علي (عليه السلام) :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد * ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن تر نصرتي * وتعلم أنني لم أزل لك طائعا
وسعيي لوجه الله في نصر أحمد * نبي الهدى المحمود طفلا ويافعا

واستمرت هذه المحنة ثلاث سنين ، من السنة السابعة إلى العاشرة من البعثة ، عند ذلك تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي وسواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم على هذا العمل المنكر (حصار بني هاشم) .

وأول من سعى إلى نقض الصحيفة والاتفاق ، وفك

ص : 83

الحصار عن الهاشميين ، هشام بن عمرو ، وزهير بن أبي أمية المخزومي ، والمطعم بن عدي ، وزمعة بن المطلب بن أسد ، والبختري بن هشام ، واتفقوا أن يقدوا إلى أنديةهم ، ويعلنوا رفض المقاطعة ، وإنهاء الحصار .

وجاء في سيرة ابن هشام : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعمه أبي طالب : يا عم ، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم يدع اسما إلا (هو الله) . فقال : ربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم . خرج أبو طالب إلى أندية قريش

قبل أن يثير النفر الخمسة اعتراضهم على الحصار والمقاطعة ، وقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهلم إلى صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي ، فقال القوم بأجمعهم : قد أنصفت ورضينا ، وتعاقدوا على ذلك .

وقام المطعم إلى الصحيفة وجاء بها وفتحت على مرأى من الجميع ، فإذا بها كما أخبرهم النبي (صلى الله عليه وآله) على لسان عمه أبي طالب ، قد أكلت الأرضة جميع حروفها إلا " بسمك اللهم " ، ومزقت الصحيفة ، بعد موقف هؤلاء النفر الذين أبت نفوسهم الكريمة هذه القطيعة التي كادت أن تقضي على الهاشميين .

وعندما تبين لقريش صدق ما نقله أبو طالب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأن الأرضة أكلت من صحيفتهم التي قاطعوا بها بني هاشم ولم يبق فيها إلا بسمك اللهم (اسم الله تعالى) قالوا : إن هذا سحر ابن أخيك ، رد عليهم بهتهم بقوله :

زعمت قريش أن أحمد ساحر * كذبوا ورب الراقصات إلى الحرم
ما زلت أعرفه بصدق حديثه * وهو الأمين على الحرائب والحرم

وقال :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميها
وإن حضرت أشراف عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وعاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمن معه من الشعب بعد تمزيق الصحيفة إلى استئناف دعوته في مكة ومن جاورها ، ومع القبائل التي تقصدها في المواسم . وساء ذلك قريشا وأصبحوا يشيعون بأنه ساحر كذاب ، بعد ما كان الصادق الأمين . وفي تلك السنة ، وقبل الهجرة بثلاث سنين ، مرض

أبو طالب ثم توفي ، رضوان الله عليه ، وكان ذلك في شهر رمضان ، السنة العاشرة من البعثة النبوية ، وكان له من العمر ست وثمانون سنة ، وقيل : تسعون سنة ، ودفن بالحجون إلى جنب قبري جده وأبيه .

وبعد أيام مرضت السيدة خديجة بنت خويلد ، فدخل عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تجود بنفسها ، فقال : بالكره مني ما أرى ، ولعل الله أن يجعل في الكره خيرا كثيرا . وبعد شهر وخمسة أيام من وفاة عمه أبي طالب ، توفيت السيدة خديجة ، وذلك في منتصف شهر شوال من تلك السنة ، ولها من العمر خمس وستون سنة .

ويروى العكس ، فإن السيدة خديجة توفت في شهر رمضان وأبو طالب توفي في شهر شوال من تلك السنة . وفي تأريخ اليعقوبي ، توفيت خديجة بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام فجهزها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، " ولم تكن صلاة الجنائز مفروضة حينذاك " ودفنها في مقابر قريش

ص : 87

بالحجون ، بالقرب من قبور أجداده هاشم ، وعبد المطلب ، وأبي طالب ، رضوان الله عليهم .

وأصبحت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي طفلة ، تتعلق بأبيها ، رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهي تبكي وتقول : أبي أين أمي ؟ أين أمي ؟ فنزل جبرئيل فقال : يا محمد ، قل لفاطمة إن الله تعالى بنى لأمك بيتا في الجنة من قصب

- أي من لؤلؤ - لا نصب فيه ، ولا صخب " أي لا تعب فيه ولا ضوضاء " عزت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الفاجعة ، وشقت عليه ، وقد اجتمعت عليه مصيبتان دفعة واحدة ، فقد عمه وحاميه أبي طالب وفقد زوجته وحبيبته خديجة

ص : 88

بنت خويلد ، فقال : والله لا أدري بأيهما أشد جزعا . وسمي ذلك العام بعام الأحران . فلزم بيته ، وقل خروجيه ، وطمعت فيه قريش ، إذ فقد حاميه ، ونالت منه ما لم تكن تتال ولا تطمع به من قبل . فبلغ ذلك عمه أبا لهب ، وأخذته الحمية ، حمية

الجاهلية ، فجاءه وقال : يا محمد ، امض لما أردت ، وما كنت صنعا إذ كان أبو طالب حيا فاصنعه ، لا واللوات لا يوصل إليك حتى أموت ! وذات يوم سب ابن الغيطة النبي (صلى الله عليه وآله) فأقبل عليه أبو لهب فنال منه ، فولى صارخا

وهو يصيح : يا معشر قريش ، صبا أبو عتبة ! ! فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب مستنكرين ، فقال : ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكنني أمتع ابن أخي أن يضام - أي يظلم - حتى يمضي لما يريد ، قالوا جميعا : قد أحسنت ، وأجملت ، ووصلت الرحم ، فمكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أياما يذهب ويأتي

ص : 89

لا يتعرض له أحد من قريش ، وهابوا سطوة أبي لهب ، إلى أن جاء عقبة بن أبي معيط ، وأبو جهل بن هشام ، فاحتالا على أبي لهب حتى صرفاه عن عزمه ونصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فاسترد جواره .

وصية أبي طالب بنصرة النبي (صلى الله عليه وآله) على فراش الموت

لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دعا أولاده وإخوته وأحلافه وعشيرته ، وأكد عليهم في وصيته بنصرة النبي (صلى الله عليه وآله) ومؤازرته ، وبذل النفوس دون مهجته ، وعرفهم ما لهم في ذلك من الشرف العاجل والثواب الآجل ، وأنشأ يقول :

أوصي بنصر نبي الخير أربعة * ابني عليا وشيخ القوم عباسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته * وجعفرأ أن تذودوا دونه الناسا

كونوا فدى لكم أمي وما ولدت * في نصر أحمد دون الناس أتراسا

هذا خاتم قوله وأمره الذي طابق ما قدمنا في سالف عمره من الذود عن الرسول الأعظم ورسالة السماء .

فتأمل أيها المنصف اللبيب ، هل كل هذه تصدر من مشرك كافر في حق نبي الإسلام ودعوته ؟ قال العلامة الحلبي في سيرته (١) ما نصه : فذكر أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع إليه وجهاء قريش ، (وبني هاشم) فأوصاهم ، وكان من وصيته

أن قال : " يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، والواسع الباع ، لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ، ولا شرفا إلا أدركتموه ، فلکم بذلك على الناس الفضيلة ،

* (هامش) *

(١) السيرة الحلبية ١ : ٣٧٥ ، طبعة مصر سنة ١٣٠٨ . (*)

ولهم به إليكم الوسيلة ، أوصيكم بتعظيم هذه البنية (أي الكعبة) فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش ، صلوا أرحامكم ،

ولا تقطعوها ، فإن في صلة الرحم منسأة (أي فسحة) في الأجل وزيادة في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ، ففيهما هلكت

القرن قبلكم ، أجبوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة

فإن فيهما محبة في الخاص ، ومكرمة في العام ، وإني أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قریش والصديق في العرب ،

وهو الجامع لكل ما أوصيكم به ، وقد جاء بأمر قبله الجنان ، وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وأيم الله كأنني أنظر إلى صعاليك العرب ، وأهل الوبر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، فصارت رؤساء قریش وصناديدها أذنابا ، ودورها خرابا ، وضعفؤها

أربابا ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأعطته قيادها ، دونكم يا معشر قریش ، كونوا الولاية ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد " .

فانظر هذه الوصية وتمعن بها بعين الوجدان والإنصاف والروية ، تجدها لعمرى من أمتع الحكم ، وجوامع الكلم ، تضمنت مكارم الأخلاق وتنبأت عن المستقبل الزاهر الذي يصير إليه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، بالله عليك ، فهل ترى

هذه الوصية تصدر من مشرك كافر بالرسول والرسالة ؟ أوكل ذلك إلى تقديرك أيها المنصف اللبيب ؟ وأبو سفيان بقي على شركه إلى أن مات يكون مسلما ، وآية ذلك لما اجتمع بنو أمية في دار عثمان بن عفان حينما تسنم عرش الحكم قائلًا لهم : تلاقفوها يا بني أمية

تلاقف الأكرة بيد صبيانكم ، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار وإنما هو الملك ، ثم أخذ إلى أحد وهو أعمى ووقف على قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وقال شامتاً بعد أن ركل قبره برجله : - ذق عقق - قالها ثلاثاً ، ثم قال : يا أبا

عمارة ، إن الذي ناز عناكم عليه بالأمس صار بيد صبياننا ، هذا يموت مسلماً وأبو طالب يموت مشركاً ؟ لاهاً الله . وبعد هذه الوصية أسلم روحه الطاهرة إلى بارئها والتحق بالرفيق الأعلى بعد أن أدى ما عليه تجاه الرسول والرسالة عند ذلك جاء

الإمام علي (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) آذنه بموت أبيه أبي طالب ، فتوجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) توجعاً عظيماً ، وحزن عليه حزناً شديداً ، ثم قال لعلي (عليه السلام) : امض يا علي فتول أمره ، وتول

غسله ، وتحنيطه ، وتكفينه ، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني . ففعل أمير المؤمنين (عليه السلام) ما أمره به (صلى الله عليه وآله) ، فلما رفعه على

السريير ، اعترضه النبي (صلى الله عليه وآله) فرق وحزن ، فأبانه بكلمة خالدة فيه ، وقال : وصلتكم رحم ، وجزيت خيراً يا عم ، فلقد رببت وكفلت صغيراً ، ونصرت وآزرت كبيراً ، ثم أقبل على الناس وقال : أم والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقليين .

فهذا الحديث وحده يكفي للدلالة على إيمان أبي طالب رضوان الله عليه ، ومن وجهين : أحدهما : أمر النبي (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أن يفعل به ما يفعل بأموات المسلمين من الغسل والتحنيط والتكفين دون الجاحدين من أولاده ، إذ

لم يكن حضر أحد منهم سوى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) من المؤمنين ، وأما جعفر فكان يومئذ عند النجاشي ببلاد الحبشة ، وأما طالب وعقيل فكانا يومئذ حاضرين ، ولكنهما كانا مقيمين على خلاف الإسلام ، ولم يسلم واحد منهما بعد ، فخص بذلك علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) بتولية أمره وتجهيزه لمكان إيمانه ،

ص : 95

ولم يتركه لهما على رغم أنهما أكبر من علي سنا لمباينتهما له في معتقده ، ولو كان أبو طالب مات كافرا ، لما أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا بتولية أمره لانقطاع العصمة بين الكافر والمسلم ، ولتركه لهما كما ترك عمه الآخر أبا لهب

، ولم يعبأ بشأنه ، ولم يحفل بأمره ، وتولية علي تجهيزه من دون أخويه الذين هما أكبر منه ، شاهد قاطع على صدق إيمان أبي طالب وإسلامه .

والوجه الآخر : تأبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا طالب بهذه الكلمات الرائعة الخالدة ، والدعاء له ، وصلتك رحم وجزيت خيرا ، ووعد أصحابه بالشفاعة له التي يعجب بها أهل الثقلين ، ومولاته بين الدعاء له والثناء عليه .

لدليل قاطع على إسلام أبي طالب وإيمانه . ولم تكن الصلاة على أموات المسلمين مشرعة غير هذه الصلاة في صدر الإسلام ، حتى فرض الله سبحانه صلاة الجنائز فيما بعد ، ومثل ذلك صلى النبي (صلى الله عليه وآله) على

ص : 96

زوجته الطاهرة السيدة خديجة ، سلام الله عليهما . ثم رثى الإمام علي (عليه السلام) أباه أبا طالب بهذه الأبيات :

أبا طالب عصمة المستجير * وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ * فصلى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه * فقد كنت للمصطفى خير عم

فتأمل ما ضمنه الإمام (عليه السلام) من معاني جلييلة في أبياته هذه من الترحم والدعاء ، فلو كان أبو طالب مات كافرا لما كان يصلي عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) ويترحم عليه ، ويعلم على الملأ شفاعته له ، ولما ترحم عليه الإمام أمير

المؤمنين وأبنة بهذا التأبين الرائع بعد موته . فسلام عليه يوم ولد ، ويوم أسلم ودافع عن حوزة الإسلام ، ويوم مات ، ويوم يبعث حيا .

النبي (صلى الله عليه وآله) يشفع لأبي طالب

بعد حذف السند ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : هبط علي جبرئيل . وقال لي : يا محمد ، إن الله عز وجل مشفعك في ستة : بطن حملتك ، أمانة بنت وهب . و صلب أنزلك ، عبد الله بن عبد المطلب . وحجر كفلك ، أبي طالب (١)

وبيت آواك ، عبد المطلب . وأخ كان لك في الجاهلية - قيل : يا رسول الله ، وما كان فعله ؟ قال : كان (حنفيا) شيخا يطعم الطعام ، ويجود بالنوال - . وثدي أرضعك ، حليلة بنت أبي ذؤيب - السعدية - . وفي رواية ، عن أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام) ، عن

* (هامش) *

(١) وفي رواية : وزوجته فاطمة بنت أسد . (*)

رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أوحى الله سبحانه : إني حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك ، وأهل بيت آواك . عن العباس بن عبد المطلب ، أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : ما ترجو لأبي طالب ؟ فقال : كل خير أرجوه من ربي عز وجل (١) .

فلولا علم النبي (صلى الله عليه وآله) بإيمان عمه أبي طالب ما كان يرجو له كل خير من ربه تعالى ، بعد ما علم من خلود الكفار في النار . عن أبان بن محمد ، قال : كتبت إلى الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) : جعلت فداك ، إني شككت في إيمان أبي طالب ؟ قال : فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ومن * (يتبع)

* (هامش) *

(١) ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢ : ٣١١ ، أورد الحديث عن أبان بن محمد . (*)

ص : 99

غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى) * (١) ، إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار (٢) .

وكتب السيد عبد العظيم الحسيني المدفون بالري - وكان مريضا - إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) : عرفني يا بن رسول الله عن الخبر المروي إن أبا طالب في ضحاح من نار يغلي منه دماغه ؟ فكتب إليه الرضا (عليه السلام) : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار (٣) .

وسأل عبد الرحمن بن كثير الإمام الصادق (عليه السلام) : إن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحاح من نار ؟ فقال : كذبوا ، ما بهذا نزل جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) .

* (هامش) *

(١) النساء : ١١٥ . (٢) ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢ : ٣٠٠ . (٣) أخرجه العلامة الأميني في الغدير ٧ : ٣٩٥ . (*)

ص : 100

فقلت : وبما نزل ؟ قال : أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه . فقال : يا محمد ، إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك ، فاتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك ،

فاتاه الله أجره مرتين ، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة ، ثم قال : كيف يصفونه بهذا الملاعين ؟

وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب ، فقال : يا محمد ، أخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب . بعد حذف السند ،

قال أبو طالب للنبي (صلى الله عليه وآله) بمحضر من قريش ليريهم فضله ومعاجزه : يا بن أخي ، الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : إن للأنبياء معجزا ، وخرق عادة ، فأرنا آية .

ص : 101

قال : ادع تلك الشجرة ، وقل لها : يقول لك محمد بن عبد الله أقبلي بإذن الله . فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ، ثم أمرها بالانصراف ، فانصرفت . فقال أبو طالب : أشهد أنك صادق . ثم قال لابنه علي (عليه السلام) : يا بني إلزم ابن عمك (١) .

عن أبي بصير ، عن محمد بن علي الباقر (عليه السلام) أنه قال : مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلما مؤمنا ، وشعره في ديوانه يدل على إيمانه ، ثم محبته وتربيته ونصرته ، ومعاداة أعداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وموالاة أوليائه ، وتصديقه إياه فيما جاء به من ربه ، وأمره لولديه علي وجعفر بأن يسلما ويؤمننا بما يدعو إليه ، وأنه خير الخلق ، وأنه يدعو

* (هامش) *

(١) أورد الرواية شيخنا الصدوق في أماليه : ٣٦٠ ، عن طريق الأعمش ، كما رواه الفتال النيسابوري في روضة الواعظين : ١٢١ .

ص : 102

إلى الحق والمنهاج المستقيم ، وأنه رسول رب العالمين ، وهناك أخبار مستفيضة نقلها فطاحل العلماء والمؤرخين تجدها في المسانيد متواترة . ومن حب النبي (صلى الله عليه وآله) لعقيل بن أبي طالب : " أنا أحبك يا عقيل حبين : حبا لك ، وحبا لأبي طالب ، لأنه كان يحبك " .

عن الفقيه أبي الفضل بن شاذان ، بإسناده إلى العلامة الفقيه أبي الفتح الكراجكي حديث له مسلسل أسنده إلى أبي ضوء بن صلصال بن الدهمس ، قال : كنت أنصر النبي (صلى الله عليه وآله) - أي كان حارسا له - مع أبي طالب قبل إسلامي .

فإني يوما لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيض ، إذ خرج أبو طالب إلي شبيها بالملهوف ، فقال لي : يا أبا الغضنفر ، هل رأيت هذين الغلامين - يعني النبي وعلياً (عليهما السلام) - ؟

ص : 103

فقلت : ما رأيتهما مذ جلست . فقال : قم بنا في الطلب لهما ، فلست آمن قریشا أن تكون اغتالتهما . قال : فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة ، ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناها إلى قلته ، فإذا النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي عن يمينه ، وهما قائمان بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان . فقال أبو طالب بمحضر ابنه جعفر - وكان معنا - : صل جناح ابن عمك ، فقام جعفر إلى جنب أخيه علي (عليه السلام) ، فأحس بهما النبي (صلى الله عليه وآله) فتقدمهما ، وأقبلوا على أمرهم (يصلون) حتى فرغوا مما كانوا فيه ، ثم أقبلوا نحونا ، فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ، ثم انبعث يقول :

إن علياً وجعفرًا ثقني * عند ملم الزمان والنوب

ص : 104

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما * أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من بني نو حسب

قال أبو علي عبد الحميد بن النقي الحسيني ، بإسناده إلى الموضع يرفعه إلى عمران بن الحصين الخزاعي : كان والله إسلام جعفر (عليه السلام) بأمر من أبيه ، ولذلك لما قضى جعفر صلواته ، قال له النبي (صلى الله عليه وآله) : يا جعفر ، وصلت جناح ابن عمك ، إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة ، وهذه واحدة من تنبؤاته (صلى الله عليه وآله) .

شذرات من كتاب الغدير

لما نزلت آية : * (وأنذر عشيرتك الأقربين) * (١) ، خرج النبي (صلى الله عليه وآله) فصعد على الصفا فهتف : يا صباحاه ، فاجتمعوا إليه ، فقال : رأيتم لو أخبرتم أن خيلا تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جرينا عليك

كذبا . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . قال أبو لهب : تبا لك ، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم دعاهم ثانية وقال : الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

* (هامش) *

(١) الشعراء : ٢١٤ . (*)

لا شريك له . ثم قال : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تتامون ، ولتبعثن كما تستيقضون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها الجنة أبدا والنار أبدا . فقام أبو طالب

وقال : ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك ، وأشد تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك يجتمعون ، وإنما أنا أحدهم غير أنني أسرعهم إلى ما تحب ، فامض لما أمرت به ، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب (١) .

قال الأميني معلقا : لم يكن دين عبد المطلب (عليه السلام) إلا دين التوحيد والإيمان بالله ورسله وكتبه غير مشوب بشئ من الوثنية ، وهو الذي أراده أبو طالب (عليه السلام) بقوله :

* (هامش) *

ص : 107

نفسى لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب .

قال القرطبي (١) : روى أهل السير ، قال : كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي ، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل - لعنه الله - : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ، فقام ابن الزبيرى فأخذ فرثاً

ودما فلطخ به وجه النبي (صلى الله عليه وآله) ، فانفتل النبي (صلى الله عليه وآله) من صلاته ، ثم أتى أبا طالب عمه فقال : يا عم ، ألا ترى إلى ما فعل بي ؟ فقال أبو طالب : من فعل هذا بك ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : عبد الله بن

الزبيرى ، فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل ، جعل القوم ينهضون . فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل منكم لجللته بسيفي ، ففعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يا بني ، من فعل بك هذا ؟ فقال : عبد الله بن الزبيرى ،

* (هامش) *

(١) تفسير القرطبي : ٤٠٦ . (*)

ص : 108

فأخذ أبو طالب فرثاً ودما فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول . انتهى .

ما روي عنهم من طرق العامة في إيمان أبي طالب : أما رجال آل هاشم ، وأبناء عبد المطلب ، وولد أبي طالب ، فلم يؤثر عنهم إلا الهتاف بإيمان أبي طالب الثابت ، وإن ما كان يؤثر في نصرته النبي الأقدس (صلى الله عليه وآله) كان منبعثاً عن عقيدة وتدين بما صدع به (صلى الله عليه وآله) ، وأهل البيت أدرى بما فيه .

قال ابن الأثير في جامع الأصول : وما أسلم من أعمام النبي (صلى الله عليه وآله) غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت (عليهم السلام) ، فقد هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم يملأ الأفواه وبكل صراحة وجبهوا من خالفهم في ذلك . إذا قالت حذام فصدقوها * فإن القول ما قالت حذام

ص : 95

قال ابن أبي الحديد (١) : روي بأسانيد كثيرة عن العباس بن عبد المطلب ، وبعضها عن أبي بكر ، قال : إن أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، والخبر مشهور ، إن أبا طالب عند الموت قال كلاما خفيا فأصغى إليه أخوه العباس (٢) .

قال الأميني : ذكرنا هذا الحديث مجارة للقوم ، وإلا فما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عند الموت إلى التناظر بتينك الكلمتين اللتين كرس حياته الثمينة بالهتاف بمفادها في

* (هامش) *

(١) شرح النهج : ٣ : ٣١٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ، وتاريخ ابن كثير ٢ : ١٢٣ ، والإصابة ٤ : ١١٦ ،

والسيرة الحلبية ١ : ٣٧٢ ، والسيرة الدحلانية هامش الحلبية ١ : ٨٩ ، وأسنى المطالب : ٢٠ .)

(*

ص : 110

شعره ونثره ، والدعوة إليهما ، والذب عن من صدق بها . فمتى كفر هو ؟ ومتى ضل ؟ حتى يؤمن ويهندي ، أليس من الشهادة قوله :

ليعلم خيار الناس أن محمدا * وزير لموسى والمسيح بن مريم

أتانا بهدى مثل ما أتيا به * فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وإنكم تتلون في كتابكم * بصدق حديث لا حديث مبرجم

وقال : ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * رسولا كموسى خط في أول الكتب

وقال : فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيوننا

ص : 111

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * ولقد دعوت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت أن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

أخرج البيهقي عن ابن عباس ، وقال اليعقوبي (١) : لما قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن أبا طالب قد مات ، عظم ذلك في قلبه ، واشتد له جزعه ، ثم دخل عليه فمسح جبينه الأيمن أربع مرات ، وجبينه الأيسر ثلاث مرات ، ثم قال :

يا عم ، ربيت صغيرا ، وكفلت يتيما ، ونصرت كبيرا ، فجزاك الله عني خيرا ، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه

ويقول : وصلتك رحم ، وجزيت خيرا . قال الأميني : إن شيئا من مضامين هذه الأحاديث لا تتفق مع كفر أبي طالب ، فهو (صلى الله عليه وآله) لا يأمر خليفته الإمام

* (هامش) *

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦ . (*)

ص : 112

علي (عليه السلام) بتكفين كافر ولا تغسيله ، ولا يستغفر له ولا يترحم عليه ، ولا يرجو له الخير ، ولا يستدر له الخير كما في حديث الاستسقاء ، إلى آخر ما ذكر (١) .

من المقطوع به أن الأئمة من ولد أبي طالب (عليه السلام) أبصر الناس بحال أبيهم وأنهم لم ينوهوا إلا بمحض الحقيقة ، فإن العصمة فيهم رادعة عن غير ذلك .

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر ، فأتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك ، فأتاه الله أجره مرتين (٢) .

ختاما : لقد أغرق القوم نزعا في الوقیعة على بطل الإسلام ،

* (هامش) *

(١) الأميني في غديره ٧ : ٣٧٧ . (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١١ . (*)

ص : 113

والمسلم الأول بعد ولده البار ، وناصر دين الله الوحيد علي (عليه السلام) ، فلم يقنعهم ما اختلفوا من الأفاصيل حتى عمدوا إلى كتاب الله فحرفوا الكلم عن مواضعه . هذا ملخص ما اقتطفنا من الغدير في ترجمة حياة بطل المسلمين والمدافع الأول أبو طالب (عليه السلام) ، إلى آخر ما ذكر الأميني في غديره ٨ : ٣ .

ص : 115

ويخرجه معه متى خرج . وذكر قصة الاستسقاء بالنبي (صلى الله عليه وآله) حين أجذب الوادي وهلك الزرع والضرع ، بقوله في مدحه كما سبق ذكره :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

وذكر . . . فلما أمر الله سبحانه رسوله أن يصدع بما أمر به من الرسالة بقوله تعالى : * (وأنذر عشيرتك الأقربين) * إلى آخر الفصل الذي ذكرناه . فقام بإظهار دين الله ، عظمت على قريش وأنكروه وأجمعوا على عداوته وخلافه وأرادوا السوء به ، فقام

ص : 116

أبو طالب بنصرته ومنعه منهم والذب عنه ، وعادا جبابرة قريش وطواغيتهم وهددهم أن يمسوا محمدا بأذى . ثم قال له (صلى الله عليه وآله) : اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسألك لشيء أبدا ، فأنشد يقول :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفيننا
فانفذ لأمرك ما عليك مخافة * وابشر وقر بذاك منك عيوننا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه * من خير أديان البرية دينا

وقد وثبت كل قبيلة من قريش على المؤمنين منهم يعذبونهم ويفتنونهم في دينهم ، ومنع الله سبحانه رسوله منهم ، بعمه أبي طالب ، وقام في بني هاشم ،

ص : 117

وبني عبد المطلب ، حين رأى قريشا تصنع ما تصنع فدعاهم وهو زعيمهم إلى ما هو عليه من منع النبي (صلى الله عليه وآله) والقيام دونه ، فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الدفاع عن الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا ما كان من عمه (عبد العزى) أبو لهب فإنه لم يجتمع معهم على ذلك .

كما منع ابن أخته أبا سلمة بن عبد الأشهل المخزومي ، لما وثب عليه قومه يعذبونه ويفتونه على الإسلام ، فهرب واستجار بخاله أبو طالب فأجاره .

كما ذكرنا ذلك . فلما رأت قريش إلى أنها لا تصل إلى محمد (صلى الله عليه وآله) لقيام أبي طالب بالدفاع عنه (صلى الله عليه وآله) ، أجمعت على أن تكتب فيما بينها كتاب المقاطعة وحصر بني هاشم في (شعب أبي طالب) ، حتى فرج الله عنهم بمعجزة ، كما ذكرنا ذلك .

ونقل ابن الأثير في (جامع الأصول) إجماع أهل البيت (عليهم السلام) في إسلام أبي طالب وإيمانه ، وإجماعهم حجة ، ووافقنا على ذلك أكثر الزيدية ، وبعض

ص : 118

شيوخ المعتزلة ، منهم أبو القاسم البلخي ، وأبو جعفر الإسحاقى ، وغيرهما ، ولنا في إيمان أبي طالب (رضي الله عنه) روايات كثيرة (١) من الفريقين ، أربعة عشر رواية ودليلا :

منها : ما رواه ابن بابويه القمي في (أماليه) بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي ، قال : سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول : نزل جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمد ، إن الله جل جلاله يقرئك السلام

ويقول : إني قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك . فقال (صلى الله عليه وآله) : يا جبرائيل ، بين لي ذلك ؟ فقال : أما الصلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطلب ، وأما البطن الذي حملك فأمنة بنت وهب ، وأما الحجر الذي كفلك فأبو طالب بن عبد المطلب

وفاطمة بنت أسد .

* (هامش) *

(١) الدرجات الرفيعة : ٤٨ . (*)

ص : 119

أقول : ولا غرو ، فإنهم أحناف موحدون ، ولم يشركوا بالله طرفة عين .

وأضاف صاحب الدرجات الرفيعة : قالت الإمامية : ومما يدل على إيمان أبي طالب خطبته عند نكاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) خديجة بنت خويلد (عليها السلام) التي مطلعها : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم (عليه السلام) وزرع إسماعيل (عليه السلام) . . . إلى آخر الخطبة التي سبق ذكرها (١) .

وعلق صاحب الدرجات الرفيعة عفى الله عنه : إني لا أكاد أقضي العجب ممن ينكر إيمان أبي طالب (عليه السلام) أو يتوقف فيه ، وأشعاره التي يرويها المخالف والمؤلف صريحة في إعلان إسلامه ، وأي فرق بين المنظوم

* (هامش) *

(١) موسوعة المصطفى والعترة - المجلد الأول ، وأم المؤمنين خديجة - كراس ٨ من هذه السيرة ، وغيرها من المصادر المعتبرة .

ص : 120

والمنثور إذا تضمننا الإقرار بالإسلام صريحة ، لا سيما تشجيع أخاه حمزة بن عبد المطلب عندما تحدى المشركين وأعلن إسلامه ، في قصيدة مطلعها :

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد * وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
نبي أتى بالحق من عند ربه * بصدق وعزم لا تكن حمزة كافرا

فقد سرني إذ قلت " لبيك " مؤمنا * فكن لرسول الله في الدين ناصرا
وناد قريشا بالذي قد أتيته * جهارا وقل : ما كان أحمد ساحرا

ولما افتقد أبي طالب النبي وعلي في ظهيرة أحد الأيام الصائف ، خرج من داره مذعورا يبحث
عنهما ، وجاب أطراف مكة حتى خرج إلى شعابها فوجدهما على إحدى التلاع يصليان ،
فاستقرت نفسه وكان معه

ص : 121

ولده جعفر ، فأمره بالصلاة معهما حيث قال : صل جناح ابن عمك ، فلما أحس النبي به تقدم
قليلا ، فصلى جعفر إلى جنب أخيه علي (عليه السلام) .
فأنشد أبو طالب هذه الأبيات التي تدل على إيمانه ويحثهما على مؤازرة النبي (صلى الله عليه
وآله) :

إن عليا وجعفرًا تقتي * عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما * أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من بني نو حسب

قال أصحابنا : إنما لم يظهر أبو طالب (عليه السلام) إسلامه على رغم أنه حنيفي موحد ، أو
يجاهر به ، لأنه لو أظهره لم يتهياً له من نصرة النبي ما تهياً له وكان كواحد من المسلمين الذين
أظهروه ولم يتمكن من نصرته والقيام

ص : 122

دونه حينئذ ، وإنما تمكن من نصرته والمحاماة عنه ، بمظاهرتة على دين قريش ، وإن أبطن
الإيمان والإسلام ، وما أحسن قول السيد عبد الله بن حمزة الحسيني الزيدي من قصيدته :

حماه أبونا أبو طالب * وأسلم والناس لم تسلم
وقد كان يكتنم إيمانه * وأما الولاء فلا يكتنم

ولما اشتدت قريش على أبو طالب في الضغط على النبي (صلى الله عليه وآله) ليترك تسفيه
آلهتهم وترك ما هو عليه وهددوه ، أجابهم بقوله :

كذبتم وبيت الله نخلي محمدا * ولما نطاعن دونه وناضل
وننصره حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبائنا والحلائل

ص : 123

ولله در ابن أبي الحديد المعتزلي حيث يقول :

ولولا أبو طالب وابنه * لما مثل الدين شخصا فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى * وهذا بيثرب جس الحماما

تكفل عبد مناف بأمر * وأودى فكان علي تماما فقل
في ثبير مضى بعد ما * قضى ما قضاه وأبقى شماما

فله ذا فاتحا للهدى * والله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبي طالب * جهول لغا أو بصير تعامى

كما لا يضر أباة الصباح * من ظن ضوء النهار الظلاما

ص : 124

قال الكلبي : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش وأوصاهم ، فقال : يا معشر
قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا
إلا أحرزتموه ، ولا شرفا إلا أدركتموه ، فلکم به على

الناس الفضيلة ، وله به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب ! وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية (الكعبة) فإن فيها مرضاة للرب وقواما للجأش ، وثباتا للوطأة ، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل

وزيادة في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ، ففيهما هلك القرون قبلكم ، لا تخيبوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام ، وإني أوصيكم بمحمد (صلى الله عليه وآله) خيرا فإنه الأمين في قريش والصديق في

العرب ، كأنني أنظر إلى صعاليك العرب ، وأهل الوبر والأطراف المستضعفين من الناس قد

ص : 125

أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنا ، ودورها خرابا ، وضعافها أربابا ، وأعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أقربهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ،

وأعطته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ، ابن أبيكم كونوا له ولاية ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا سعد ، ولا يأخذ بهديه إلا رشد ، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ، ولدفعت عنه الدواهي . ثم أنشد وهو

يخاطب ابنه عليا وجعفر ، وأخويه حمزة والعباس بقوله :

أوصي بنصر النبي الخير مشهده * عليا ابني وشيخ القوم عباسا

وحمزة الأسد الحامي حنيفته * وجعفر أن يذودوا دونه الناسا

ص : 126

كونوا فدى لكم أمي وما ولدت * في نصر أحمد دون الناس أتراسا

بالله عليكم هذا المحامي المؤمن حتى على فراش النزاع يموت كافرا ، وصخر بن حرب (أبو

سفيان) يموت مسلما ، لقوله ليني أمية في دار عثمان عندما اعتلى عرش الحكم : تلاقفوها يا بني أمية ، تلاقف الكرة بيد صبيانكم ، فوالذي يحلف به

أبو سفيان لا جنة ولا نار ، إنما هو الملك . هذه وصيته . وهذه وصية أبي طالب الطافحة بالإيمان والرشاد دلالة واضحة على أنه (عليه السلام) إنما أرجأ صريح قوله وتصديقه باللسان إلى ساعات اليأس فيها عن الحياة ، حذار شنآن قومه المستتبع لانثيالهم عنه .

قال الواقدي : توفي أبو طالب (عليه السلام) في النصف من شوال في السنة العاشرة من البعثة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة ، بعد ما خرج من حصار الشعب ، بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوما ،

ص : 127

وقال ابن الجوزي : مات قبل الهجرة بثلاث سنين .

وروي : لما مات جاء الإمام علي (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأذنه بموته ، فتوجع عظيما وحزن شديدا ، ثم قال : امض فتول غسله ، فإذا رفعته على سريره فأعلمني ، ففعل فاعترضه رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وهو محمول على رؤوس الرجال . فأبنه قبل دفنه ، بقوله (صلى الله عليه وآله) : وصلت رحم يا عم وجزيت خيرا ، لقد ربيت وكفلت صغيرا ، ونصرت وأزرت كبيرا ، ثم تبعه إلى حفرتة فوقف عليه فقال : أما والله لأستغفرن لك ، ولأشفعن

فيك شفاعة يتعجب لها الثقلان . ولم يصل عليه (صلى الله عليه وآله) لأن صلاة الجنائز لم تكن قد شرعت بعد ، ولا صلى (صلى الله عليه وآله) على خديجة كذلك ، إنما تلخص تشييعه لهما بالدعاء والاستغفار لهما سلام الله عليهما .

ص : 128

وفي الحديث الصحيح المشهور : إن جبرئيل (عليه السلام) قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة مات أبو طالب (عليه السلام) : اخرج منها - أي من مكة - فقد مات ناصرك .

وكان لأبي طالب (عليه السلام) من البنين ستة ، أربع ذكور ، أحدهم طالب ، وهو أكبرهم وبه يكنى ، وكانت قريش أكرهته على النهوض معهم إلى بدر لقتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ففقد ولم يعرف له خبر ، والثاني عقيل ،

والثالث جعفر ، وأصغرهم الإمام علي (عليه السلام) ، وبناتان : أم هانئ وجمانة ، وأمهم جميعا فاطمة بنت أسد الهاشمية . هذا ما لخصناه من كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة .

شذرات من كتاب إيمان أبي طالب شيخ البطحاء أبو طالب الدرع الواقى لرسول الله (صلى الله عليه وآله)

منذ بزوغ شمس الرسالة إلى يوم قبضه الله إليه ، حيث وقف كالسد المنيع يحول بينه وبين الوثنية - وهي القوة العظمى التي كانت حينذاك تمسك بمقدرات الجزيرة العربية - وبين تحقيق أهدافها في وأد الرسالة السماوية ، والدعاة لها .

وله في سبيل ذلك مواقف مشهورة تفوق الإحصاء ، وإجمالها يحتاج إلى كتاب مفرد ، ولكن هذا التأريخ بدفتيه مفتوح بين يديك ، ويكفيك أن تطالع فيه صفحات أيام الضغط على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذويه والمقاطعة

الشاملة لهم ، وحبسهم في (شعب أبي طالب) لترى أن أبا طالب كان الرجل الوحيد الذي تعهد حفظهم وحراستهم وتكفل أرزاقهم . وكفاك شاهدا على عظيم منزلته عند الله ورسوله ، أن الرسول لا ينطق عن الهوى ، اشتد وجدده ، وهاج حزنه

بعد وفاة عمه وناصره أبي طالب ، وسمي ذلك العام بعام الأحران ، ولم يمكنه بعدها المقام بمكة فاضطر للهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة) .

أما قول أبي طالب وأشعاره المثبتة في كتب السير والتأريخ والحديث ، والتي يرويها المخالف والمؤلف ، فهي صريحة في اعترافه برسالة محمد (صلى الله عليه وآله) ونبوته وأمانته وصدقه ، وأنه يوحى إليه من ربه ، وهو خاتم الأنبياء ، وتعرب عن كمال إيمانه وحقيقة إسلامه ، وإخلاصه لصاحب الشريعة وتفانيه في نصرته الإسلام وحماية بيضته .

وكل أشعاره جاءت مجئ التواتر ، فإن لم تكن أحادا متواترة مجموعها متواترا يدل على أمر واحد لا غير وهو إيمانه وتصديقه برسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وأما ما يروى عن آله وذويه وولده ، فصريحة في إثبات إيمانه ، ولم يؤثر عنهم ما يخالفهم ، بل أكدوا أن " إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان ، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى ، لرجح إيمان أبي طالب " (١) .

وكتبوا إلى بعض ثقاتهم وخاصتهم : إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار . ورغم كل ذلك فقد حاول بعض من في قلوبهم مرض ، وممن فاتهم إيذاء الرسول (صلى الله عليه وآله) في حياته ومحاربة دعوته ، أن يقوضوا دعامة من دعائم الإسلام المثبتة من خلال تشكيكهم في إيمان أبي طالب ، تلك المحاولة التي

* (هامش) *

(١) كنز الفوائد ١ : ١٨٣ . (*)

ص : 132

باعث بالفشل الذريع ، لأن نور الشمس لا يحجبه غربال ، ونتيجة لتصدي جماعة من كبار علماء الإسلام وأعلامه لهم ، وكشف دسائسهم ومكائدهم ، وفضح أهدافهم الخبيثة . وقد ألف في ذلك ٣٧ كتابا فحما ، فراجع المصدر .

من كتاب الذريعة في تأريخ أبي الفداء (١ : ١٢٢)

رواية ابن عباس أنه سمع شهادة أبي طالب عند وفاته ، فأخبر به النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال : الحمد لله الذي هدانا لهذا . . . إلى أن قال أبو الفداء : ومن شعره ما يدل على أنه كان مصدقا للرسول (صلى الله عليه وآله) ، وهو قوله :

ودعوتني وعلمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا

وكتب العلامة السيوطي في كتابه (بغية الطالب) لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته .

كما كتب أحمد بن زيني دحلان ، مفتي الشافعية بمكة المشرفة كتاب (أسنى المطالب في نجات أبي طالب) .

وكتب في هذا الموضوع من أصحابنا جمع كثير في طي تصانيفهم ، ولا سيما في كتب الإمامية ، وعقد العلامة الكراجكي

في (كنز الفوائد) فصلا في ما يدل من أشعار أبي طالب على إيمانه ، وما ورد فيه من الأحاديث ، وتكلم الشيخ أبو الحسن

الشريف الفتوني الغروي في كتابه (ضياء العالمين) في فصل يقرب من ثلاثين صفحة في موضوع (إيمان أبي طالب) ، وكتب جمع من الأصحاب كتباً مستقلة في هذا الموضوع بعنوانين خاصة ،

منها : شعر أبي طالب وذكر إسلامه ، والشهاب الثاقب ، وشيخ الأبطح ، وفصاحة أبي طالب ،
وفضل أبي طالب ، والقول الواجب .

ص : 135

وكتب في إيمان آباء النبي (صلى الله عليه وآله) في مقصد الطالب ، ومنى الطالب ، ومنية
الطالب ، ومواهب الواهب . وهناك جملة من الكتب التي صدرت بعنوان إيمان أبي طالب ،
وعدها عشرة كتب في فترات متفاوتة .

هذا ملخص ما ذكره العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة . وأخيرا إليك بعض الأشعار
التي اعترف فيها بالإيمان والتوحيد واتباع الرسول وما جاء به من السماء .

أشعار مؤمن قريش

وأما أشعاره التي يرويها أرباب السير والتأريخ في صحاحهم ومسانيدهم على اختلاف ملهم ونحلهم ونزعاتهم ، فهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، ومتواترة تواترا لا يمكن الطعن فيه ، تدل على إيمان أبي طالب ويقينه برسالة السماء ومن جاء بها وصدقته وأمانته ، وأنه يوحى إليه من ربه وأنه خاتم الرسل والأنبياء (صلى الله عليه وآله) .

وسياتي ذكر القصيدة اللامية التي نقلها اللواء إبراهيم رفعت باشا ، أمير الحج المصري وقائد حرس حملة الكسوة الشريفة للكعبة قبل مئة عام تقريبا في كتابه

(مرآة الحرمين) . وإليك هذه الشذرات من أشعاره ذكرها ونقلها بعض الكتاب والمؤلفين والعلماء من القدماء والمعاصرين على سبيل المثال لا الحصر .

في كتاب الإفصاح (١) ، للعلامة الشيخ المفيد عليه الرحمة ، المتوفى عام ٣١٤هـ، وفي آخره رسالة ملحقة بعنوان (إيمان أبي طالب) : ومما يدل على إيمان أبي طالب وحسن إسلامه ونصرته في الدفاع عن الرسول ورسالته قصائده ونظمه المؤيد لذلك ، وهي مشهورة ومتواترة على الإجماع . وإليك هذه الشذرات مما قاله :

ألا من لهم آجز الليل مقتم * طواني وأخرى النجم لما تقحم (٢)

* (هامش) *

(١) المطبوع في قم - قسم الدراسات الإسلامية ، لمؤسسة البعثة . (٢) تقحم : غاب (لسان العرب

- فحم - ٢١ : ٣٦٤) . (*)

إلى قوله :

ترجون أن نسحو بقتل محمد * ولم تختضب سمر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تفرقوا * جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

وتقطع أرحام وتنسى خليفة * خليلا ويغشى محرم بعد محرم
وينهض قوم في الحديد إليكم * يذودون عن أحسابهم كل مجرم

على ما أتى من بغيكم وضلالكم * وعصيانكم في كل أمر ومظلم
بظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى * وأمر أتى من عند ذي العرش مبرم

فلا تحسبونا مسلميه ومثله * إذا كان في قوم فليس بمسلم

أفلا يرون الخصومة إلى هذا الحد من أبي طالب في نصرته نبي الله (صلى الله عليه وآله) ،
والتصريح بنبوته ، والإقرار بها من عند الله عز وجل ، والشهادة بحقه ، فيتدبرون ذلك ، أم على
قلوب أفعالها ؟ !

ومنه قوله (رضي الله عنه) :

تطاول ليلي بهم نصب * ودمع كسح السقاء السرب
للعب قصي بأحلامها * وهل يرجع الحلم بعد اللعب

إلى قوله (رضي الله عنه) :

وقالوا لأحمد أنت امرؤ * خلوف الحديث ضعيف النسب
ألا إن أحمد قد جاءهم * بحق ، ولم يأتهم بالكذب (١)

* (هامش) *

(١) ديوان أبي طالب : ٥٢ ، ومناقب ابن شهر آشوب ١ : ٦٦ ، والحجة على الزاهب : ٥٤٢ ، وشرح نهج البلاغة ٤١ : ١٦ . (*)

ص ١٤٠ :

وفي هذا البيت صرح بالإيمان برسول الله (صلى الله عليه وآله) . ومنه قوله (رضي الله عنه) :

أخلمت بأنا مسلمون محمدا * ولما نقاذف دونه بالمراجع
أمينا حبيبا في البلاد مسوما * بخاتم رب قاهر للخواتم

يرى الناس برهانا عليه وهيبة * وما جاهل في فضله مثل عالم
نبيا أتاه الوحي من عند ربه * فمن قال لا يقرع بها سن نادم

تطيف به جرثومة هاشمية * تذيب عنه كل باغ وظالم (١)

* (هامش) *

(١) جرثومة كل شئ : أصله ومجتمعه (لسان العرب - جرثم - ٢١ : ٥٩) . (*)

ص ١٤١ :

ومنه قوله (رضي الله عنه) :

ألا أبلغا عني على ذات بينها * لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب ؟
وأن عليه في العباد محبة * ولا شك في من خصه الله بالحب (١)

وفي هذا الشعر والذي قبله محض الإقرار برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالنبوة وصريح بلا ارتياب .

ومن ذلك قوله (رضي الله عنه) :

ألا من لهم آخر الليل منصب * وشعب العصا من قومك المتشعب

* (هامش) *

(١) ديوان أبي طالب : ٢٣ ، وشرح نهج البلاغة ٤١ : ٣٧ . (*)

ص ١٤٢ :

إلى قوله :

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة * متى ما تخبر غائب القوم يعجب (١)
محا الله منها كفرهم وعيوبهم * وما نقموا من باطل الحق مقرب فكذب (٢)

ما قالوا من الأمر باطلا * ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا * على سخط من قومنا غير معتب

فلا تحسبونا مسلمين محمدا * لذي غربة منا ولا متغرب

* (هامش) *

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٣٦ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٧٧٢ ، وشرح النهج ٤١ : ٢٧ ،

والبداية والنهاية ٣ : ٤٨ ، وخزانة الأدب ١ : ١٦٢ .

(٢) في الديوان : وأصبح . (*)

ص ١٤٣ :

ستمعه منا يد هاشمية * مركبها في الناس خير مركب

ومن ذلك قوله (رضي الله عنه) :

إذا قيل من خير هذا الوري * قبيلًا ، وأكرمهم اسره ؟
أناف بعبد مناف أبي * أبو نضلة هاشم الغره (١)

وقد حل مجد بني هاشم * مكان النعائم والزهره
وخير بني هاشم أحمد * رسول الملئك على فتره

* (هامش) *

(١) أناف : ارتفع وأشرف (لسان العرب - نوف - ٩ : ٢٤٣) ،
أبو نضلة : كنية هاشم بن عبد مناف (الصحاح - نزل - ٥ : ١٣٨١) . (*)

ص ١٤٤ :

فإن لم يكن في ذلك شهادة للنبي (صلى الله عليه وآله) بالنبوة ، فليس في ظاهر الآية شهادة ،
وهذا ما لا يرتكبه عاقل له معرفة بأدنى معرفة أهل اللسان .

ومنه قوله في ذكر الآيات للنبي (صلى الله عليه وآله) ودلائله ، وقول بحيراء الراهب فيه ،
وذلك أن أبا طالب (رضي
الله عنه) لما أراد الخروج إلى الشام ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) إشفافاً عليه ، ولم
يعمل على استصحابه ، فلما

ركب أبو طالب (رضي الله عنه) بلغه ذلك ، فتعلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالناقاة
وبكى ، وناشده الله في إخراجهم معه ، فرق له أبو طالب وأجابته إلى استصحابه . فلما خرج معه
أظلمت الغمامة ، ولقيه بحيراء الراهب ، فأخبره

بنبوته ، وذكر له البشارة في الكتب الأولى ، فقال أبو طالب (رضي الله عنه) :

إن الأمين محمداً في قومه * عندي يفوق منازل الأولاد

ص ١٤٥ :

لما تعلق بالزمان ضمته * والعيس قد قلصن بالأزواد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا * لاقوا على شرف من المرصاد
حبرا فأخبرهم حديثا صادقا * عنه ورد معاشر الحساد

ومنه أيضا قوله يحض النجاشي على نصر النبي (صلى الله عليه وآله) :

تعلم ملك الحبش أن محمدا * نبي كموسى والمسيح بن مريم
أتى بهدى مثل الذي أتيا به * فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وإنكم تتلونه في كتابكم * بصدق حديث لا حديث المبرجم
وإنك ما تأتيك منا عصابة * بفضلك إلا عاودوا بالتكرم

ص ١٤٦ :

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا * فإن طريق الحق ليس بمظلم (١)

وفي هذا الشعر من التوحيد والإسلام ما لا يمكن دفعه لمسلم . وهناك قصائد وأشعار كثيرة
ذكرها أرباب السير والتأريخ ، منها ما ذكره العلامة الأميني في غديره الجزئين السابع والثامن .

وهذا ما عثرنا على بعض أشعار أبي طالب مؤمن قريش من دون نقص أو تتبع ذكره اللواء
إبراهيم رفعت باشا قومندان حرس الحملة وأمير الحج المصري لسنين ١٣١٨ إلى ١٣٢٥هـ -
١٩٠١ إلى ١٩٠٨ م في كتابه مرآة الحرمين .

وهذه الأشعار تعتبر من عيون الشعر الجاهلي ، ومما

* (هامش) *

(١) متشابه القرآن ٢ : ٥٦ ، ومناقب ابن شهر آشوب ١ : ٢٦ ، ومستدرک الحاكم ٢ : ٣٢٦ . (*)

يثبت إيمان أبي طالب وإسلامه البتة الذي لا ينازع فيه اثنان ، كما ذكره أصحاب السير في تأريخهم ، وإنه لم يشرك بالله طرفة عين أبدا وكان من الأحناف الذين يعبدون الله على ملة إبراهيم .

وهذه القصيدة مشهورة اشتهاه الشمس في رابعة النهار له ، نظمها عندما حوصر هو وبنو هاشم في الشعب (شعب أبي طالب) .

القصيدة الشعبية

لأبي طالب عم سيدنا ومولانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قالها في الشعب وهو شعب أبي طالب الذي أوى إليه بنو هاشم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما تحالفت عليهم قریش وكتبوا الصحيفة .

وأصل الشعب لعبد المطلب فقسمه بين بنيه وأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) حظ أبيه وكان منزل بني هاشم ومساكنهم ، وفيه يقول أبو طالب :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا
ومأثما بتفريقهم من بعد ود وألفة * جماعتنا كيما ينالوا المحرما

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما تروا يوما لدى الشعب قائما **القصيدة (١)**
خليلي ما أذني لأول عاذل * بصغواء في حق ولا عند باطل

* (هامش) *

(١) أشار بوضع هذه القصيدة وشرحها فضيلة الأديب الشاعر الشيخ محمد عبد الرحمن الجديلي الموظف بمجلس النواب المصري حينذاك

خليلي إن الرأي ليس بشركة * ولا نهنة عند الأمور البلابل
ولما رأيت القوم لا ود عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاعوا أمر العدو المزابل

وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض غضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي * وأمسكت من أثوابه بالوصائل

قياما معا مستقبلين رتاجه * لدى حيث يقضي خلفه كل نافل
أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل

ص : 150

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثييرا مكانه * وراق لبر في حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله : إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسخونه * إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا * وما فيهما من صورة وتمائل

ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
فهل بعد هذا من معاذ لعائد * وهل ممن معيذ يتقي الله عادل

ص : 151

يطاع بنا الأعدا وودوا لو أننا * تسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتهم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه وناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه * من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإننا لعمر الله إن جد ما أرى * لتلتبس أسيافنا بالأماثل

بكفي فتى مثل الشهاب سميدع * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
وما ترك قوم لا أبا لك سيدا * يحوط الذمار غير ذرب موائل

ص : 152

وأبيض (١) يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

* (هامش) *

(١) في روض السهيلي : قالت رقيقة : تتابعت على قريش سنو جذب قد أقحلت الظلف ، وأرقت العظم ، فبينما أنا رافدة مهمومة ومعى صنوي إذا أنا بهاتف صبيت يصرخ بصوت صحل يقول : يا معشر قريش ، إن هذا النبي المبعوث منكم هذا أبان نجومه فحيهلا بالحياء

والخصب ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض بضاً أشم العرنين له فخر يكظم عليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن رجل ألا فليثنوا من الماء ، وليسموا من الطيب ، وليطوفوا بالبيت سبعا ، ألا فليستسقى الرجل ، وليؤمن القوم . قالت : فأصبحت مذعورة ،

قد قف جلدي ، ووله عقلي ، فاقتصت رؤياي فوالحرمة والحرم إن بقي أبطحي إلا وقال هذا شبيهة الحمد ، وتنامت عنده قريش ، وانفض إليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ، ومسوا ، واستسلموا ، واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون حوله ما أن يدرك سعيهم مهلة

فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب . ثم قال : اللهم ساد الخلة ، وكاشف الكربة ، أنت عالم غير معلم ، ومسؤول غير مبخل ، وهذه عبيدك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا

مريعا مغدقا ، فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجيبه . (*)

ص : 153

يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجل غير آجل

بميزان قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الأوائل

وكل صديق وابن أخت نعهده * لعمرى وجدنا غبه غير طائل

ص : 154

سوى أن رهطا من كلاب بن مرة * براء إلينا من معقة خاذل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب * زهير حساما مفردا من حمائل

أشم من الشم البهاليل ينتمي * إلى حسب في حومة المجد فاضل
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد * وإخوته دأب المحب المواصل

فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها * وزينا لمن ولاه ذب المشاكل
فمن مثله في الناس أي مؤمل * إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش * يوالي إليها ليس عنه بغافل
فأيده رب العباد بنصره * وأظهر ديننا حقه غير ناصل

ص : 155

فوالله لولا أن أجيئ بسبة * تجر على أشياخنا في القبائل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يغنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة * يقصر عنها سورة المتداول

حدبت بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلال

ص : 156

ختاماً

هذا ملخص ما اقتطفنا من بعض المصادر المعتبرة ، وبعض ما دبجته يراعات أهل السير والتأريخ في إثبات إيمان أبي طالب (عليه السلام) وإسلامه .

ولو أن هناك بعض التكرار في الفصول المتعاقبة ، ذكرناها لسير البحث ، ولا يخلو ذلك من فائدة . أسأله تعالى أن يتقبل منا هذا اليسير ويعفو عنا الكثير ، فإنه سميع بصير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين . تم الفراغ منه في دار الهجرة قم المقدسة في العاشر من ربيع الثاني سنة ١٤٢١هـ .

العبد المنيب حسين الشاكري